الحجاز وشرفه في الحديث النبوي

-دراسة موضوعية-

.....

الدكتور : سليمان بن سعيد بن مريزن العسيري

أستاذ الحديث الشريف وعلومه بمعهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

ABSTRACT

After we toured the pen in the treasures of the honorable year and its archives, and the line of the most prominent conversations of the Prophet peace be upon him about the Hijaz all his releases, and without revealing the great position and Majestic majesty of the Hijaz since the beginning of human history and until the hour, it is good to show the main results of this research As follows:

1- Through the study of the privacy of the nodal and legitimacy of the Hijaz manifested the great divine care of these blessed areas of the Earth mediated by the status of the globe, to include some of the gifts of Paradise, and embrace the first house of Allah before human reproduction, and warning of shedding blood or the biting of trees and make it a habitat And the emergence of signs of the hour and small and major on the level, and the prohibition on the Dajjal, and honoring its people to be the first to join with the Prophet peace be upon him, and so on He did not Allah has returned to us from the greatness of his alignment to these pillars and wisdom Almighty.

2- The proportion of the Prophet (Peace and blessings of Allah be upon him) The faith and wisdom of Yemen The general view is that the people of Hijaz are meant to do so, and to detail that in the second section.

3- The order that the Jews and Christians out of the Arabian Peninsula is more likely to understand the Companions, may Allah be pleased with them Omar and the sayings of scientists, including Shafei that the intended land of Hijaz.

4- The wisdom of the Almighty Allah in the beginning of the relationship between heaven and earth from eternity in the Hijaz, and the beginning of religion and knowledge and spread from the Hijaz and then return to him. In

the folds of this great gifts and selection is a reason to reflect on the story of the universe and the final message.

5- Hajar (Peace and blessings of Allah be upon him) who purifies the earth of the world in disguise to dwell in the city that eats the villages.

6- Jurisdiction of Hijaz with the number of signs of the hour and the first mission of the Prophet peace be upon him and his death, and the exit of the fire Hijaz, which lit the necks of camels in Syria, and the great exit of the Mahdi, and the departure of the animal.

7- From the dignity of Allah to the Hijaz that the Dajjaal is forbidden to enter Mecca and Medina in them.

8- The last country of Allah is a desolation in Islam city and witness the talk of the shepherds of decorated.

9- Protecting Allah to the Hijaz, who wants to make it worse, and from that to the army that wants to invade the Kaaba.

10- Through the presentation of the hadiths on the Hijaz (Mecca and Medina) and their status, it became clear that the vast majority of them are Bukhari and Muslim, and only one of them, and a total of what they agreed to take out are (25) hadiths and Abu Dawood had one hadiths, and Al-Tirmidhi had six hadiths, and Ibn Majah had four hadiths, and Ibn Khuzaymah had one hadith, and al-Bayhaqi had two hadiths, and the hadeeth is one hadeeth. , And al-Tabarani one hadith, as well as al-Tilasi one hadith, and the hadeeth is one hadeeth, and the sum of their hadiths are not exceeded (29) hadiths, only other non-modern works such as the news of Mecca for Fakihy, and these conversations range from the correct and the good and the weak and some very weak, and there is no praise in praise of the topic, except the talk of the ruler in Al-Mustadrak, which some described

as dark, And Muslim represented the two of the hadiths that the research included and we will show them strength and trust, and Allah knows best.

And Allah prayed to our master and our Prophet Muhammad and to his family and companions.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله فالق الحب والنوى ، خالق الإصباح وجاعل الليل سكنا، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن على آثاره سار واقتدى .

أما بعد:

بدأت قصة الإنسان على كوكب الارض منذ أهبط إليه أبو البشرية آدم عليه أفضل الصلاة والسلام لحكمة ربانية في تحقيق معاني الخلافة في الأرض واصلاحها قال الله عز وجل:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

أنزله الله بعد توبته عليه وعلى زوجه حواء من معصية الأكل من الشجرة، بوسوسة وحسد من إبليس الذي تكبر على خالقه ومولاه، واعترض على ارادته وقضاه، وأساء الأدب في الملكوت الأعلى، فاستحق اللعنة والطرد، وأنزله للأرض، ممدودا له في العمر، ممكنا وذريته من الوسوسة والغواية، لمن فارق من بني آدم سبل الهداية ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[2].

وسطع فجر التاريخ البشري الضارب في أعماق الزمن بذلك الهبوط المعجز ، لتبدأ سلسلة ممتدة من البلاء والابتلاء لذلك المخلوق الجديد وذريته ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[3]، ومع اختلاف المفسرين في تحديد مكان هبوط آدم عليه السلام وحواء، إلا أن الوقائع والدلائل والآثار المروية تشير إلى أن الحجاز هي البقعة المباركة من الأرض التي اختارها الله جل وعلا وقدرها من هذا الكوكب لتكون موئلا وكنفا يلتقيان في عرصاته ما بين جَمع ومزدلفة وعرفات بمكة[4] لتبدأ سنة التناسل البشري والتوالد، ولله الحكمة البالغة في اختيار ذلك الوادي الأجدب القاحل ليعبد فيه بنته الملائكة [5] وقيل آدم ليعبد فيه ربه ويعلم ذريته العبادة على التوحيد والدين الخالص وفطرة الإسلام .قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٦] (القصص: ٦٨) وهذا خبر منه تبارك وتعالى عن خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر، والأزمنة والأمكنة.

ويشاء الله انتشار البشرية في فجاج الأرض، وأن تعفو على ذلك البيت عوافي الزمن (طوفان نوح وغيره)،وأن يتهالك وتبقى قواعده بصخورها المرضومة تحت الرمال، حتى أذن برفعه على يد ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام، بعد قرون متطاولة، ومن ذلك الحين والكعبة المشرفة قائمة ثابتة سامقة شامخة، وحتى لا يبقى في الأرض من يقول: الله الله فيأتي الأفيدع الأصيلع من الحبشة فينقضها حجرا حجرا[٧]، وهذا من آخر علامات الساعة، ثم يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا التاريخ المجيد الممتد بامتداد الحياة، وهذا الشرف العظيم في مكة المكرمة أم القرى وأم ديار الحجاز، الذي بدأ ببداية الدنيا وسينتهي بنهايتها ليس مكتسبا وإنما هو بتقدير الله واختياره واصطفائه، فسمات المكان من الله سبحانه ، وقسمات القاع من الله جل وعلا، فهو من حدد عرفات وعين فيها جبل الرحمة ،وهو من أوضح جمع ورسم جهات منى ومزدلفة ،حتى زمزم الماء المعجزة الخالدة الذي يجري سلسلا منذ تفجر ولا يزال وسيبقى ماشاء الله، وهنالك الحجر الأسود والمقام والصفا والمروة، علامات وبينات واضحة ناطقة بعظمة الله ببقائها كل هذه الدهور، وقد آذنت الدنيا بصرم وولت حذاء .

الحجاز مهوى الأفئدة منذ أودع فيه ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم زوجه هاجر وفلذة كبده اسماعيل، ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٨].

وأذن في الناس بالحج لذلك البيت العتيق، وهو في واد قفر، وجاءت الجموع والوفود رجالا وركبانا من شعوب شرق الأرض وغربها ملبية النداء الإلهي الخالد، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[٩].

وإن خبا نور الحق والهداية بعض الأزمنة، وطالت أعناق آلهة الضلال من الأصنام في أرجاء الحجاز وغيره إلا أن البيت مثابة وأمنا، ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١٠]، حتى وهم على شركهم يعظمونه لأنه الشاهد الصدق على الدين الحق الإلهي الوحيد.

هذا التاريخ المهيب معجزة وحده، فماذا أودع الله في الحجاز غيره من الهبات والعطايا؟.

أضحت مكة أمّاً للقرى تتوسط الكرة الأرضية تماما كماانطق به القرآن الكريم قبل قرون متطاولة وثبت جيولوجيا[١١] في عصرناالحاضر، وباتت مهوى للأفئدة فالقلوب تعشق الحجاز لما فيه من الآيات البينات، وأصبحت مركزا حضاريا في جزيرة العرب وملتقى اقتصاديا نطق به القرآن الكريم برحلتي الشتاء والصيف، مابين حوض البحر المتوسط وحضارته وشعوبه مصر والشام والروم ، وبين اليمن أصل القبائل والعرب العاربة وأم الحضارات البائدة وما حوله من مياه وشعوب المحيط الهندي .

وتسابقت القبائل إلى مجاورة البيت وسدانته وخدمة قصاده، فحكم بنو اسماعيل بعد أبيهم اسمعيل ، ثم أخذت جرهم ولاية البيت منهم زمنا طويلا باعتبارهم أبناء بناتهم وهم أخوالهم ، ثم وثبت خزاعة على جرهم وانتزعت ولاية البيت منهم ، ثُمَّ عادت إلى ولد اسماعيل بعدما جمع القبائل وقرشها قصي بن كلاب جد النبي الخامس ولقب (مُجَمِع)وبقيت خدمت البيت في أبنائه أجداد المصطفى صلى الله عليه وسلم عبدمناف وهاشم و عبدالمطلب ثم عمه أبو طالب وبعدها ولد رَسُولَ الله شرف الدنيا وعز الآخرة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ونظرا لتلك الأهمية البالغة جغرافيا وتاريخيا للحجاز وحاضرته مكة المكرمة، امتدت إليه أطماع اليونان والرومان بعد تغلبهم على مصر والشام، فلم يمكنهم الله وصرفهم، فاحتالوا لذلك عن طريق حلفائهم الأحباش الذين حكموا اليمن عام ٥٢٥ م، فأرسلوا أشقاهم أبرهة الأشرم بجيش عرمرم فيه الفيلة الضخام ليهدم الكعبة، ويذل العرب الذين أهانوا كعبته القليس ويثأر لها، فازدادت الحجاز مكانة ومهابة وقوة ومنعة لما أذله الله ومزق جيشه عام ٥٧٠ م، ودمره تدميرا لم يخطر على بال وخلد أحد، فلم يدافع عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كبير أهل الحجاز خاصة والعرب قاطبة ولا غيره، فقوة جيش أبرهة طاغية، وهم يعرفون قوتهم، ووكل

عبدالمطلب أمر البيت لربه الذي حماه قرونا متطاولة، ثقة بأمره وايمانا بنصره، فكانت المعجزة من غير نبوة، طيرا أبابيل بسطها الله في السماء على أبرهة وجيشه فأهلكتهم رأي العين أجمعين .

وازداد عقب ذلك اليقين بالله و عظمت المهابة والجلالة لبيته العتيق والسؤدد لأهل الحرم وخصوصا عبدالمطلب الذي كان الملهم للناس بنصر الله وتأييده .

وسمي ذلك العام بعام الفيل، وبعده بسنة ولد الهادي للثقلين جميعا صلى الله عليه وسلم، حفيد عبدالمطلب عام ٥٧١ م محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب القرشي، وبولادته ثم بعثته في الحجاز ختمت الرسالات السماوية بعد أن بشرت التوراة والإنجيل به وباسمه تحديدا، ومكان ولادته من أرض الحجاز، ومهاجره إلى أرض بالحجاز أيضا بين حرتين عظيمتين ونخل وهي يثرب التي سماها الله في كتابه المدينة[١٢].

بوصف دقيق علمه علماء بني اسرائيل[١٣]، من آمن به ومن كفر. وكما تاهت الحجاز فخرا بأن التقى فيها آدم عليه السلام أبو البشر وأول الأنبياء بزوجه حواء بعد هبوطهما من السماء، تاهت الحجاز شرفا مرة ثانية وأخيرة أن احتضنت آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ولادة ونشأة وبعثة ، ثم المدينة النبوية مهاجرا ودارا واتماما للرسالة الخاتمة للرسالات السماوية، ودرج في أرجائها وتضوعت مسكا أن ضمت جسده الشريف ﷺ، وما أحسن مقالة البوصيري في ذلك من قصيدته (البردة) لولا ما اختلجها من مخالفات عقدية وبعض الشركيات، طبعت أهل وقته بطابعها، حيث كان التصوف بأشكاله يسرح ويمرح في أرجاء من البلاد .قال :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي فدا لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الطهر والكرم

ويبلغ شأن الحجاز شأوا عظيما بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الى يثرب، المكان الآمن الذي اختاره الله لنبيه ﷺ، ليؤسس الدولة الإسلامية وعاصمتها (المدينة النبوية) ، ويزيد مهابة وقداسة بعد الفتح العظيم لمكة، وزوال الشرك منها وتحطيم الأصنام ورفع رايات التوحيد وعودة الحنيفية ، وينطلق صلى الله عليه وسلم بدعوته للآفاق فتخضع الجزيرة العربية بكل قبائلها وأطيافها لسلطان الحق والنور والنبوة، في سنوات قليلة بعد الفرقة والشتات والتناحر والخلاف لأتفه الأسباب .

ومن الحجاز: خرجت ألوية الجهاد ألوفا متتابعة لتبلغ هذا الدين لأصقاع المعمورة، وتتهاوى ممالك الدنيا أمام نور الإسلام الذي تسابقت إليه الشعوب التي أنهكها الظلم والطغيان والشرك والضلال، إلا قلائل من الطغاة المعاندين وأتباعهم الذين لم يلبثوا أن انهزموا وهربوا أمام جحافل النور الساطع بالحق والهدى.

وإلى الحجاز تتوجه وجوه مليار وستمائة مليون مسلم حيث مكة المكرمة ، وفي قلبها قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كما يؤم الحجاز كل سنة ملايين الحجاج والمعتمرين والزوار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن هذه المكانة الشريفة والعبق الذي يملأ السمع والبصر ويجم الفؤاد محض اصطفاء من الله تبارك وتعالى ، فكما اصطفى من البشر رسلا، فقد اصطفى من الأرض بقاعا وأقطارا.

وتبعا لذلك الاصطفاء الإلهي فقد أضفى الرسول صلى الله عليه وسلم من حديثه الشريف على الحجاز من الفضائل والمناقب والشرف والخصوصية، ما احتفظت به دواوين السنة المشرفة، سواء كانت هذه التشريفات باسم الحجاز أو باسم مكة والمدينة، وهما المقصودان بالحجاز من الناحية الشرعية، وهذه الأحاديث بما اشتملت عليه من معاني جليلة سأذكرها في عشرة مباحث، كل مبحث منها يتناول معنى مستقلا من معاني شرف الحجاز ، وسميت البحث :

أهمية البحث:

ظهرت أهمية البحث من خلال ماشرف به الحجاز من منن إلهية وسوابغ ربانية لم توهب بكثرتها لغيره من بلاد الله الشاسعة ،فاجتماع آدم بزوجه حواء على عرفاته ، ووضع الكعبة الغراءفي عرصاته ،وتفجر سلسبيل زمزم في جنباته ، وتربة طيبة وتمرها شفاء وتحديد مكة والمدينة وتحريمهما ،واحتضانهما لهبات من الجنة ،ومضاعفة الحسنات فيهما، ومسجدين يكسوهما الجلال تشد إليهما الرحال ودحر وهزيمة الشيطان في مُنَاه ، وجعل مناسك ومشاعر الحج والعمرة حصرا فيهما،ومكاناً لمحو الذنوب والخطايا بحجة صافية الأداء ، براء من الفسق والرفث، وجبال الحجاز حراء وثور وأحد ،وأوديته عرنة والعقيق ، والبقيع وقباء ،وجذع النخلة البكاء ، وحجر مكة المسلم وانتشار الدين من ربوعه إلى مشارق الأرض ومغاربها وعودته يأرز ويأوي إليه آيات باهرة ومعجزات أزلية خالدة دائمة ،كان لها من حديث المصطفى وبيانه حظا وافرا ،وما اهتم به النبي الكريم وأظهره حقيق بأن يجمع ويرتب ويعلم للعالمين .

أسباب اختيار الموضوع :

كثرة الأحاديث الثابتة التي تناولت مكانة وهيبة الحجاز واحتضانه وتفرده بأروع وأعجب الأحداث والهبات والعطايا الربانية منذ بزوغ فجر البشرية ضاربا في شعاب الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وظهور عدد من علامات الساعة الصغرى والكبرى على بقاعه ومواضعه .فامتزجت تلك الجلالة والدلائل والحقائق والاشارات مع شغفي وحبي للحديث الشريف وعلومه ومايدل عليه عزمت على هذه الدراسة الحديثية الموضوعية للحجاز جمعا لخصائصه واظهارا لشرفه على أقطار المعمورة مما نطق به نبي الثقلين وخاتم النبيين من مشكاة نبوته صلى الله عليه وسلم .

الهدف من البحث :إبراز الجلالة والمكانة التي تفردت بها الحجاز دون بقاع الأرض قاطبة من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .وما وهبها جل جلاله من خصوصية في أول وجود للإنسان عليها وأول بيت يعبد فيه الله ويبقى شامخا إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ،وغير ذلك من بداية النبوات وختامها فيه وخروج نار الحجاز التي أضءت أعناق الابل ببصرى الشام وهي من علامات الصغرى التي حدثت ولا يمكن أن تعود ،وخروج المهدي والدابة ،وتحريمها على الدجال وكثير من سمات المكان وقسمات الزمان .

الدراسات السابقة للبحث:

لا أعلم دراسة حديثية متخصصة في الحجاز وذكره في دووابن السنة المشرفة ومصنفاتها سبق هذا البحث ، والموجود من الدراسات يتناول الحجاز من النواحي التاريخية قديما وحديثا ومن الناحية الجغرافية والسياسية عبر العصور الاسلامية المتعاقبة والله أعلم .وأغلبها منثور على صفحات الشاشة الصغيرة الالكترونية كمقالات وكتابات ودراسات .

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة واثني عشر مبحثا وخاتمة ،ثم فهارس البحث من المصادر والآيات والأحاديث والأعلام والبلدان والموضوعات.

فالمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والهدف منه والدراسات السابقة له ، ثم خطة البحث،ثم ولجت مباشرة لمباحث الموضوع فكانت على النحو التالي :

١- المبحث الأول : الخصوصية العقدية والشرعية للحجاز.ويشتمل على تسعة عشر خصوصية .

٢- المبحث الثاني : الإيمان يمان والحكمة يمان ،والروايات عامة لهل الحجاز .

٣- المبحث الثالث: إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب (الحجاز)وتحريم مكة على المشركين لنهم نجس .

٤- المبحث الرابع : الاسلام يعود ويأرز إلى الحجاز قبل يوم القيامة ، كما تأرز الحية إلى جحرها .

٥- المبحث الخامس : الترغيب في سكنى الحجاز (المدينة) والترهيب من تركها كرها لها.

٦- المبحث السادس : أرض الحجاز مركزا لانطلاق البعوث في عهد الراشدين داعية للدين الجديد وفتح مشارق الأرض ومغاربها ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم .

٧- المطلب السابع : خروج نار عظيمة من الحجاز تضيئ أعناق الإبل ببصرى (في أكناف الشام). وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وإخباره بالأمور المستقبلة.

٨- المطلب الثامن : خروج المهدي الحق من أرض الحجاز وهو آخر علامات الساعة الصغرى المرتبطة باثنتين من الكبرى وهما نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال .

٩- المطلب التاسع : خروج الدابة من خصائص أرض الحجاز ، وهي من علامات الساعة الكبرى .

١٠- المطلب العاشر : من خصائص الحجاز (مكة والمدينة) تحريمها على الدجال فلا يدخلها.

١١- المبحث الحادي عشر : من خصائص الحجاز أنها تُسكن إلى قيام الساعة، وأنها آخر ما تخلو من الأرض.

١٢- المبحث الثاني عشر: من خصائص الحجاز، إهلاك من أرادها بسوء.

ثم خاتمة البحث والفهارس .

المبحث الأول:

الخصوصية الشرعية والعقدية لمكة والمدينة (الحجاز).

خص الله تبارك وتعالى مكة المكرمة ، وخص رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة بخصائص شرعية وعقدية ، وهي كما يلي:

١- بعض أجزاء مكة والمدينة من الجنة :

ففي مكة : الحجر الأسود، ومقام إبراهيم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نزل الحجرُ الأسودُ من الجنةِ ، وهو أشدُّ بياضاً من اللبَن ، ولكن سوَّدَته خطايا بني آدم)[١٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب)[١٥].

وفي المدينة الروضةُ من الجنة ، وقد حددها صلى الله عليه وسلم فيما بين منبره الشريف الذي كان يخطب عليه وبيته الشريف الذي كان يسكن فيه صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) متفق عليه[١٦] وزاد أحمد (وَالْمِنْبَرُ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ)[١٧]. وكفى هاتين البلدتين شرفا أن ضمتا شيئا من الجنة .

٢- تحريم الله مكة يوم خلق السموات والأرض ، وتحريم محمد صلى الله عليه وسلم المدينة.

قال البخاري رحمه الله حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – أَنَّ النَّبِي – صلى الله عليه وسلم – قَالَ «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ، فَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِى، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِى سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلاَّ لِمُعَرِّفٍ». وَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِلاَّ الإِذْخِرَ لِصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا. فَقَالَ «إِلاَّ الإِذْخِرَ». وَعَنْ خَالِدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ هَلْ تَدْرِى مَا لاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا هُوَ أَنْ يُنَحِّيَهُ مِنَ الظِّلِّ، يَنْزِلُ مَكَانَهُ[١٨].

وفي البخاري أيضا حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي حَسَنُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَقَالَ «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهْيَ حَرَامٌ بِحَرَامِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الخ[١٩].

وهذا التحريم بأن لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا تكريم وتشريف ، قديم قدم خلق الله السموات والأرض ، والذي حرمها الله عز وجل لكن لم يظهره للعالمين إلا ابراهيم الخليل ثم محمد صلى الله عليهما وسلم ، كما أنه أزلي فهو سرمدي حتى انقضاء الحياة الدنيا ، يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :((ولم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار))[٢٠].

وكما أظهر وبلغ إبراهيم تحريم مكة عن ربه ، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم في زمنه وهو آخر رسول للبشرية، أكد ذلك البلاغ وحدد بالساعة وقت الاستثناء الذي أكرمه الله به، أظهر وبلغ كذلك تحريم ربه للمدينة وتعظيمه إياها فقال ﷺ : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكةَ وَدَعَا لأَهْلِها. وَإِنِّي حَرَّمتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ. وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِها وَمُدِّها)[٢١].

قال العلامة المحدث محمد الأمين الهرري حفظه الله – في معنى تحريم ابراهيم عليه السلام لمكة ، وتحريم محمد صلى الله عليه وسلم للمدينة – : (إن إبراهيم) الخليل – عليه السلام – (حرّم مكة) المكرمة أي بلّغ حكم تحريمها، أي حكم تعظيم الله إياها أي بلّغ إلى الناس بتعظيم الله إياها من بين بقاع الأرض، بتحريم اصطياد صيدها وقطع شجرها وحرمة القتال فيها . فلا يعارض ما تقدم من قوله: (إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس)، ويحتمل أن يكون وكل إليه تحريمها، فصحت بذلك نسبة التحريم مرة إلى الله تعالى ومرة إلى إبراهيم – عليه السلام[٢٢].

ويؤيد الإحتمال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم : (وإني أحرم مابين) أي بلغت تحريم الله تعالى وتعظيمه إياها ، غير أنه لا جزاء على من صاد في المدينة لعدم النص في ذلك . لابتي المدينة

قال الهرري: قال المازري : والمشهور عندنا أنه لا جزاء فيما صيد في حرم المدينة، لعدم النص وثبوت التحريم لا يُوجب الجزاء والأصل براءة الذمة والله أعلم[٢٣] .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ أَئِمَّةُ الْفَتْوَى بِالْأَمْصَارِ وَأَتْبَاعُهُمْ، أَنْ لَا جَزَاءَ فِي صَيْدِ الْمَدِينَةِ، وَشَذَّتْ فِرْقَةٌ فَقَالَتْ: فِيهِ الْجَزَاءُ لِأَنَّهُ حَرَمُ نَبِيٍّ قِيَاسًا عَلَى مَكَّةَ لِأَنَّهَا حَرَمُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام[٢٤].

والحاصل مما تقدم اثبات تعظيم البلدتين مكة والمدينة[٢٥]، وهما المقصود بالحجاز شرعا لما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الدين ليأرز إلى الحجاز) وفي رواية (ليأرز ما بين مكة والمدينة)[٢٦].

٣- **احتضان مكة أول بيت وضع للناس،** وجعله تبارك وتعالى مباركا وهدى للعالمين، قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}[٢٧].

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ" قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى" قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ سَنَةً ..."[٢٨].

وقد اختلف العلماء في أول من بنى البيت الحرام، فقيل: أول من بناه ملائكة الرحمن، وقيل: أول من بناه آدم عليه السلام، رَوَى ذلك الْبَيْهَقِيُّ فِي الدلائل[٢٩] عَنْ عَبْد اللهِ بْن عَمْرو مَرْفُوعًا: (بَعَثَ اللهُ جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ، فَقَالَ لَهُمَا: ابْنِيَا لِي بِنَاءً. فَخَطَّ لَهُمَا جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَام، فَجَعَلَ آدَمُ يَحْفِرُ وَحَوَّاءُ تَنْقِلُ حَتَّى أَجَابَهُ الْمَاءُ، نُودِيَ مِنْ تَحْتِهِ: حَسْبُكَ يَا آدَمُ. فَلَمَّا بَنَيَاهُ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى، إِلَيْهِ: أَنْ يَطُوفَ بِهِ، وَقِيلَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ النَّاسِ، وَهَذَا أَوَّلُ بَيْتٍ. ثُمَّ تَنَاسَخَتِ الْقُرُونُ حَتَّى حَجَّهُ نُوحٌ، ثُمَّ تَنَاسَخَتِ الْقُرُونُ حَتَّى رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْهُ).

وَرَوَى عَبْد الرَّزَّاق عَنْ اِبْن جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاء: (أَنَّ آدَم أَوَّل مَنْ بَنَى الْبَيْت)، وَقِيلَ: بَنَتْهُ الْمَلَائِكَة قَبْله، وعن وَهْب بْن مُنَبِّه: (أَوَّل مَنْ بَنَاهُ شِيثُ بْن آدَم) وقيل: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والصحيح أنه بني قبلهما، وأنهما رفعا قواعده، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٣٠].

من الخصائص: أن الصلاة في المسجد الحرام بمكة خير من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، عدا المسجد النبوي ، الذي تكون الصلاة فيه بألف صلاة .قال صلى الله عليه وسلم : كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"[٣١].

وعَنْ جَابِرٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ"[٣٢].

والصحيح أنه يشمل الفرائض والنوافل، فصلاة فريضة في المسجد الحرام أفضل من صلاة مائة ألف فريضة فيما سواه، وكذا النافلة، وقيل: ما كانت السنة فيه أن يصلى في البيت من النوافل، فأداؤه في البيت أفضل من صلاته في المسجد الحرام.

٤- **القسم بمكة (البلد الأمين)**، وقسم الله بها دلالة على عظمتها، قال تعالى-: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٣٣].

قال ابن كثير : وَقَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: هَذِهِ مَحَالُّ ثَلَاثَةٌ، بَعَثَ اللهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ،

فَالْأَوَّلُ: مَحَلَّةُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللهُ فِيهَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ.

وَالثَّانِي: طُورُ سِينِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ.

وَالثَّالِثُ: مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم.

قَالُوا: وَفِي آخِرِ التَّوْرَاةِ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الثَّلَاثَةِ: جَاءَ اللهُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ -يَعْنِي الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ -يَعْنِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ مِنْهُ عِيسَى- وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ -يَعْنِي جِبَالَ مَكَّةَ الَّتِي أَرْسَلَ اللهُ مِنْهَا مُحَمَّدًا-، فَذَكَرَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ، بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِمْ فِي الزَّمَانِ، وَلِهَذَا أَقْسَمَ بِالْأَشْرَفِ، ثُمَّ الْأَشْرَفِ مِنْهُ، ثُمَّ بِالْأَشْرَفِ مِنْهُمَا[٣٤].

٥- **النهي عن استقبال أو استدبار القبلة .**

عظم النبي صلى الله عليه وسلم شأن الكعبة، فنهى عن استقبالها أو استدبارها ببول أو غائط، كما في الصحيحين، واللفظ لمسلم، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِذَا أَتَيْتُمْ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا)[٣٥].

والسبب والعلة في ذلك: أن الله جعل الكعبة قبلة للناس يتوجهون إليها أينما كانوا للصلاة ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[٣٦]. وهي القبلة التي

رضيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاه إياها ربه كما قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٣٧].

٦- ومن الخصائص: تحريم شد الرحال الا لثلاثة مساجد اثنان منها في الحجاز.

في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى)[٣٨].

قال الحافظ –رحمه الله– في الفتح: اَلرِّحَال جَمْع رَحْلٍ، وَهُوَ لِلْبَعِيرِ كَالسَّرْجِ لِلْفَرَسِ ، وَكَنَّى بِشَدِّ اَلرِّحَالِ عَنْ اَلسَّفَرِ لِأَنَّهُ لَازِمُهُ، وَخَرَجَ ذِكْرُهَا مَخْرَج اَلْغَالِبِ فِي رُكُوبِ اَلْمُسَافِرِ، وَإِلَّا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ رُكُوب اَلرَّوَاحِل وَالْخَيْل وَالْبِغَال وَالْحَمِير وَالْمَشْي فِي اَلْمَعْنَى اَلْمَذْكُورِ، ويدخل فيها الآن الوسائل الحديثة أيضا. وَالْمُرَاد بقوله: (لَا تُشَدُّ اَلرِّحَال) اَلنَّهْي عَنْ اَلسَّفَرِ إِلَى غَيْر هذه المساجد الثلاث بقصد الزيارة، وتعمد الصلاة فيها، فكَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يُقْصَدَ بِالزِّيَارَةِ إِلَّا هَذِهِ اَلْبِقَاع لِاخْتِصَاصِهَا بِمَا اِخْتَصَّتْ بِهِ[٣٩].

٧- **ومن خصائص وفضائل الحجاز:** أن الناس يقصدون الحرم لتكفير ذنوبهم، ومغفرة أوزارهم، وإقالة عثراتهم، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)[٤٠].

لذا جعل مكة محلا وموطنا لعبادة جليلة، وركن عظيم من أركان الإسلام، وهو الحج، فلا يمكن أن يأتي العبد بهذه العبادة إلا في بيت الله الحرام، والبلد الحرام، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[٤١].

وفي الصحيحين عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ" قال: "... وَحَجِّ الْبَيْتِ ..."[٤٢].

٨- **من خصائص وفضائل البيت الحرام ومكة المكرمة:** تعلق قلوب الناس بهما، وتوقهم إليها، وإقبالهم وشوقهم إليهما. فالألوف بل الملايين من الأنام تحج بيت الله الحرام عاما بعد عام، ولم ولن تقضي منه نهمة وتوقا وحبا. بل كلما أكثر العبد التردد عليه ازداد شوقه إليه، وعظم حنينه إليه، فما السر في هذا الشوق والتعلق وفي دمع العين بل البكاء عند النظر إليه و في ازدحام الخلق عليه؟

إنها دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[٤٣]. فهذا هو سر التهافت عليه، وانجذاب القلوب إليه، ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير رحمهما الله: لو قال: فاجعل أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: {مِنَ النَّاسِ} فاختُصَّ به المسلمون[٤٤].

٩- **ومن خصائص وفضائل البيت الحرام:** أن الله تعالى- أضافه إلى نفسه تشريفا وتعظيما له، وحملا للناس على تعظيمه واحترامه، لذلك عهد إلى خليله إبراهيم وابنه إسماعيل-عليهما السلام- بتطهيره فقال تعالى: ﴿ ...وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٤٥]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٤٦].

ومن الحجاز المدينة ومن خصائصها :

١٠-**نزول عامة آيات الأحكام والشرائع ،** ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، لم يستقر بها ، وإنما رجع إلى المدينة ، دار هجرته ، وعاش فيها حتى مات ودفن بها .

عن أنس رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ، قال: " قَالَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَأَعْطَى قُرَيْشًا: وَاللهِّ إِنَّ هَذَا لَهُوَ العَجَبُ ، إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ ، وَغَنَائِمُنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا الأَنْصَارَ، قَالَ: فَقَالَ: (مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟) ، وَكَانُوا لاَ يَكْذِبُونَ، فَقَالُوا: هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ ، قَالَ: (أَوَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالْغَنَائِمِ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟ لَوْ سَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَهُمْ) [٤٧].

١١-**في المدينة وادي العقيق ،** وهو واد مبارك، عن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، إِنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، يَقُولُ: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي العَقِيقِ يَقُولُ: (أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ)[٤٨] .

١٢-من الخصائص: الوعيد الشديد باللعن لمن أحدث في المدينة .

روى البخاري ومسلم من حديث علي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ)[٤٩].

وليس المقصود بالإحداث هنا كل المعاصي الصغائر والكبائر، كما ذكر الشيخ ابن عثيمين، وإنما ذلك مختص بنوعين من الإحداث، وهما إحداث البدع، وإحداث الفتن بين المسلمين، فقد قال رحمه الله، في شرح رياض الصالحين: والحدث هنا يراد به شيئان:

النوع الأول: البدعة، فمن ابتدع فيها بدعة فقد أحدث فيها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ـ فمن أحدث فيها حدثا ـ أي ابتدع في دين الله ما لم يشرعه الله في المدينة ـ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، يعني استحق أن يلعنه كل لاعن والعياذ بالله، لأن المدينة مدينة السنة، مدينة النبوة، فكيف يحدث فيها حدث مضاد لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

والنوع الثاني من الحدث: الفتنة: أن يحدث فيها فتنة بين المسلمين، سواء أدت إلى إراقة الدماء أو إلى ما دون ذلك من العداوة والبغضاء والتشتت، فإن من أحدث هذا الحدث فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، أما من أحدث معصية عصى الله فيها في المدينة، فإنه لا ينطبق عليه هذا الوعيد، بل يقال إن السيئة في المدينة أعظم من السيئة فيما دونها ولكن صاحبها لا يستحق اللعن، الذي يستحق اللعن هو الذي أحدث فيها واحدا من أمرين: إما بدعة، وإما فتنة، هذا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٥٠].

ولعل ما ذهب إليه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، هو ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله عن هذا الحديث: وَإِنَّمَا مَقْصُودُهُ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا بِدْعَةً تُخَالِفُ مَا قَدْ سُنَّ وَشُرِعَ، وَيُقَالُ لِلْجَرَائِمِ: الْأَحْدَاثُ[٥١].

١٣- مكة و المدينة (الحجاز)لا يريد أحد أهله بسوء إلا أهلكه الله .

وقدتكفل بحفظ مكة بلده الحرام، فما قصدها ظالم إلا قسمه، وما عدى عليها عاد إلا أخزاه ورده، وما أبرهة الحبشي عن أذهاننا ببعيد، وقد ذكر -جل وعلا- في معرض امتنانه على أهل مكة- عاقبته وعاقبة أصحابه أصحاب الفيل في سورة برأسها في القرآن الكريم، هي سورة الفيل، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ

ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥ ﴾[٥٢].

وجعل على أنقابها ملائكة يحرسونها ويصدون عنها الدجال، كما في الصحيحين عن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ)[٥٣].

والنقاب: السبل والمنافذ والطرق. الرجفة: الزلزلة والاضطراب الشديد.

١٤- المنة على أهل مكة ، وطلب العفو عن أهل المدينة :

لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، واطمأن ، قام على باب الكعبة فخطب والناس أمامه ، ومما قال صلى الله عليه وسلم : (يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم؟) قالوا :خيراً ، أخٌ كريمٌ ، وابن أخٍ كريمٍ ، قال: (اذهبوا أنتم الطلقاء)[٥٤].

فهذا الإحسان إلى أهل مكة قابله صلى الله عليه وسلم بإحسان إلى أهل المدينة، لكن من وجه آخر، وهو أنه صلى الله عليه وسلم طلب من المسلمين جميعا التجاوز عن مسيء الأنصار، علماً بأن الإحسان إلى أهل مكة مقابل إساءتهم له صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، بينما الإحسان إلى الأنصار إنما هو مكافأة لهم على ما بذلوا وقدموا فافترق السبب واتحد الإحسان .

١٥- ماء زمزم شفاء ، وتربة المدينة وتمرها شفاء :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ماء زمزم لما شرب له)[٥٥].

ويقابل ذلك في المدينة :

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه ، أو كانت به قرحه أو جرح ، قال النبي صلى الله عليه وسلم _ بإصبعه هكذا (ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها): (باسم الله ،تُربةُ أرضنا ، بريقةِ بعضنا ، ليُشفى به سقيمُنا ، بإذن ربنا)[٥٦].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ، لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِيَ)[٥٧].

١٦- أهل المدينة ومكة هم أول من يحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم:

ومن فضائل الحرمين الشريفين: أن أهلهما أول الناس بعثاً ثم حشرا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فيكونون في زمرته لأنهم في الدنيا جيرانه وجيران بيت ربه تعالى، وفي الآخرة في زمرته وان شاء الله يكونون معه في الجنة بشفاعته صلى الله عليه وسلم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عُمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم انتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين)[٥٨].

ومن مات فيهما بعث من الآمنين ، عن جابر بن عبدا لله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات في أحد الحرمين بُعث آمناً يوم القيامة)[٥٩].

١٧- حنين الجذع في المدينة و يقابله في مكة تسليم الحجر :

تواترت الأحاديث عن حنين الجذع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما فارقه .

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قالُ: «كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ»[٦٠].

وقد خيّره صلى الله عليه وسلم بين أن يكون شجره في الجنة وبين أن يعود في الدنيا يأكل منه المؤمنون ، فأختار الجذع _ الواله المشتاق_ أن يكون شجره في الجنة لأنه يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا المفارقة ولو لم يلتزمه الرسول صلى الله عليه وسلم لبقي يحن إلى قيام الساعة .

وفي مكة سلام الحجر والشجر والجبل ،فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلمُ علي قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن)[٦١].

المبحث الثاني :

الإيمان يمان والحكمة يمانية، والروايات عامة لأهل الحجاز، وهناك من خصها بمكة، حيث أنها يمين المدينة حيث أشار صلى الله عليه وسلم .

شهد النبي ﷺ لأهل الحجاز بالإيمان، وبرقة القلوب، وهي من الخصائص التي اختصوا بها عن غيرهم، وفيما يلي دليل ما ذكرت متبعا ذلك بأقوال أهل العلم المعتبرين:

١- الشهادة بالإيمان لأهل الحجاز:

فعن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غِلَظُ الْقُلُوبِ، وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ»[٦٢]. قال القلقشندي: وفي ذلك دليل صريح لفضل الحجاز نفسه، وذلك أن هواء كل بلد يؤثر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفاتٍ وأحوالاً تخصهم، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل الحجاز بالرقة كما أخبر عن أهل المشرق بالغلظة والجفاء؛ وناهيك بفضل الحجاز وشرفه أن به مهبط الوحي ومنبع الرسالة، وبه مكة والمدينة اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى وأجل بقاع الأرض، ولكل منهما فضل يخصه يأتي الكلام عليه عند ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى[٦٣].

وبوب أبو عوانة على هذا الحديث فقال: بيان الأخلاق والأعمال المحمودة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان ونسبها إلى أهل الحجاز وما يليها، والأخلاق والأعمال المذمومة التي نسبها إلى الكفر وأنها قبل المشرق، وبالله التوفيق[٦٤].

وبوب ابن حبان عليه فقال: باب الحجاز واليمن والشام وفارس وعمان، ذكر إطلاق اسم الإيمان على أهل الحجاز[٦٥].

وجاء هذا الحديث عن أبي مسعود البدري ﷺ، بلفظ (أهل اليمن) بدل أهل الحجاز، عن أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: أَشَارَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ هَهُنَا، وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ[٦٦]، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ» هذا لفظ مسلم[٦٧]. والمراد باليمن هنا حدُّ اليمن بأكمله، وليس ذلك مقتصرًا على ما هو معروف اليوم جغرافيًّا.

يقول عاتق البلادي: "العرب من قديم تطلق على كلِّ ما هو جنوب يمنًا، وعلى ما هو شمال: شامًا، خاصة في الحجاز فهم يعتبرون كل ما هو جنوب مكة: يمنًا"[٦٨].

فمكة داخلة في اليمن، وعليه فكل ما جاء من فضيلة لأهل اليمن فإنه يدخل فيه أهل مكة. وهذا ما فهمه أهل العلم من الحديث، فقد بوب ابن منده على حديث أبي مسعود ﷺ فقال: ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الإيمان هاهنا» نحو اليمن، ومعنى قوله: أنه أراد الحجاز لأن مكة يمانية[٦٩].

قال ياقوت الحموي: وقال المدائني: تهامة من اليمن، وهو ما أصحر منها إلى حدّ في باديتها، ومكة من تهامة، وإذا جاوزت وجرة وغمرة والطائف إلى مكة فقد أتهمت، وإذا أتيت المدينة فقد جلست([٧٠]). قَالَ أَبُو عبيد القاسم بن سلام، فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام: الْإِيمَان يمَان وَالْحِكْمَة يَمَانِية.

قَوْله: الْإِيمَان يمَان، وَإِنَّمَا بَدَأَ الْإِيمَان من مَكَّة لِأَنَّهَا مولد النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام ومبعثه، ثمَّ هَاجر إِلَى الْمَدِينَة، فَفِي ذَلِك قَولَانِ: أما أَحدهمَا فَإِنَّهُ يُقَال: إِن مَكَّة من أَرض تهَامَة وَيُقَال: إِن تهَامَة من أَرض الْيمن، وَلِهَذَا سمي مَا وَالِي مَكَّة من أَرض الْيمن واتصل بهَا التهائم، فَكَانَ مَكَّة على هَذَا التَّفْسِير يَمَانِية، فَقَالَ: الْإِيمَان يمَان على هَذَا.

وَالْوَجْه الآخر: أَنه يرْوى فِي الحَدِيث أن النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ هَذَا الْكَلَام وَهُوَ يَوْمئِذٍ بتبوك نَاحيَة الشَّام، وَمَكَّة وَالْمَدِينَة حِينَئِذٍ بَينه وَبَين الْيمن، فَأَشَارَ إِلَى نَاحيَة الْيمن وَهُوَ يُرِيد مَكَّة وَالْمَدِينَة، فَقَالَ: الْإِيمَان يمَان، أَي هُوَ من هَذِه النَّاحِيَة فهما وَإِن لم يَكُونَا من الْيمن فقد يجوز أَن ينسبا إِلَيْهَا إِذا كَانَتَا من ناحيتها، وَهَذَا كثير فِي كَلَامهم فَاش أَلا تراهم قَالُوا: الرُّكْن الْيَمَانِيّ، فنسب إِلَى الْيمن وَهُوَ بِمَكَّة لِأَنَّهُ مِمَّا يَليهَا.

وَيذْهب كثير من النَّاس فِي هَذَا إِلَى الْأَنْصَار يَقُول: هم نصروا الْإِيمَان وهم يَمَانِية، فنسب الْإِيمَان إِلَيْهِم على هَذَا الْمَعْنى. وَهُوَ أحسن الْوُجُوه عِنْدِي، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَمِمَّا يبين ذَلِك أَن النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام لما قدم أهل الْيمن قَالَ: أَتَاكُم أهل الْيمن هم أَلين قلوبا وأرق أَفْئِدَة، الْإِيمَان يمَان وَالْحِكْمَة يَمَانِية[٧١].

قال الحافظ ابن حجر معلقا على قول أبي عبيد هذا: ولا مانع أن يكون المراد بقوله: الإيمان يمان ما هو أعم مما ذكره أبو عبيد، وما ذكره ابن الصلاح، وحاصله أن قوله: يمان يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد به من ينسب بالسكنى أظهر بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان[٧٢].

٢- أنهم من أرق الناس قلوبا، وألين أفئدة.ويدل عليه ما تقدم.

٣- أنه من خير الناس منزلة عند الله. ففي مسند إسحاق بن راهويه، من حديث مجاهد، أن أم مبشر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير منزلة عند الله؟ فقال: (رجل على متن فرسه يخيف العدو ويخيفونه ، ورجل يقيم الصلاة ويؤتي حق الله في ماله ، وهو في غنيمة له وأشار بيده إلى الحجاز)[٧٣]. والله أعلم.

المبحث الثالث:

الأمر باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ورواية من الحجاز .وتحريم مكة على المشركين لأنهم نجس.

من خصائص الحجاز الأمر بألا يبقى فيها دينان، بل لا يكون فيها سوى دين واحد وهو الدين الحق، الحنيفية السمحة، فيحرم على المشركين السكنى فيها، لأنهم أنجاس أرجاس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ... ﴾[٧٤].

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون بالله الذين عبدوا معه غيره {نَجَسٌ} أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، ونجاسة المشركين معنوية لا حسية، فكما أن التوحيد والإيمان طهارة، فالشرك نجاسة، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم ﴿ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ وذلك سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبعث النبي –صلى الله عليه وسلم– ابن عمه عليا –رضي الله عنه– يؤذن يوم الحج الأكبر بـ {براءة} فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.وقد جاءت النصوص النبوية في الأمر بإخراجهم على قسمين:

القسم الأول: الأمر بإخراجهم من جزيرة العرب .

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: .....أوصى رسول الله ﷺ عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»، ونسيت الثالثة[٧٥].

وعن عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا)[٧٦].

وفي لفظ: «لئن عشت، إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب»[٧٧].

القسم الثاني: الأمر بإخراجهم من الحجاز خاصة:

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ﷺ، قَالَ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[٧٨].

وأخرج عبدالرزاق[٧٩]، عَنِ سعيد بْنِ الْمُسَيِّبِ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفَعَ خَيْبَرَ إِلَى الْيَهُودِ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوا فِيهَا، وَلَهُمْ شِطْرُهَا» قَالَ: فَمَضَى عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَصَدْرٌ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ، ثُمَّ أُخْبِرَ عُمَرُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَا يَجْتَمِعُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ أَوْ بِأَرْضِ الْعَرَبِ دِينَانِ»، فَفَحَصَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى وَجَدَ عَلَيْهِ الثَّبْتَ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَأْتِ بِهِ، وَإِلَّا فَإِنِّي مُجْلِيكُمْ قَالَ: «فَأَجْلَاهُمْ». وسنده ضعيف لأنه مرسل، لكنه يتقوى بما قبله.

وبناء على هذا ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بجزيرة العرب في الأحاديث المتقدمة ، أرض الحجاز خاصة.

وهذا هو الذي فهمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ففي الصحيحين عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: أجلى اليهود، والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها[٨٠].

وهذا هو الذي ذهب إليه الإمام الشافعي، فقال : فَإِنْ سَأَلَ أَحَدٌ مِمَّنْ تُؤْخَذُ مِنْهُ الْجِزْيَةُ أَنْ يُعْطِيَهَا وَيَجْرِيَ عَلَيْهِ الْحُكْمُ عَلَى أَنْ يُتْرَكَ يَدْخُلَ الْحَرَمَ بِحَالٍ فَلَيْسَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، وَلَا أَنْ يَدَعَ مُشْرِكًا يَطَأُ الْحَرَمَ بِحَالٍ مِنْ الْحَالَاتِ طَبِيبًا كَانَ أَوْ صَانِعًا بُنْيَانًا، أَوْ غَيْرَهُ لِتَحْرِيمِ اللهِّ عَزَّ وَجَلَّ دُخُولَ الْمُشْرِكِينَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَبَعْدَهُ تَحْرِيمُ رَسُولِهِ ذَلِكَ وَإِنْ سَأَلَ مَنْ تُؤْخَذُ مِنْهُ الْجِزْيَةُ أَنْ يُعْطِيَهَا وَيَجْرِيَ عَلَيْهِ الْحُكْمُ عَلَى أَنْ يَسْكُنَ الْحِجَازَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُ وَالْحِجَازُ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْيَمَامَةُ وَمَخَالِيفها كُلُّهَا؛ لِأَنَّ تَرْكَهُمْ بِسُكْنَى الْحِجَازِ مَنْسُوخٌ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَثْنَى عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ حِينَ عَامَلَهُمْ فَقَالَ: «أُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمْ اللهُّ» ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِإِجْلَائِهِمْ مِنْ الْحِجَازِ، وَلَا يَجُوزُ صُلْحُ ذِمِّيٍّ عَلَى أَنْ يَسْكُنَ الْحِجَازَ بِحَالٍ.

(قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُّ تَعَالَى -) : وَأَحَبُّ إلَيَّ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْحِجَازَ مُشْرِكٌ بِحَالٍ لِمَا وَصَفْت مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.... وَلَا يَتَّخِذُ ذِمِّيٌّ شَيْئًا مِنْ الْحِجَازِ دَارًا، وَلَا يُصَالَحُ عَلَى دُخُولِهَا إلَّا مُجْتَازًا إنْ صُولِحَ..... وَلَمْ أَعْلَمْ أَحَدًا أَجْلَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ الْيَمَنِ وَقَدْ كَانَتْ بِهَا ذِمَّةٌ وَلَيْسَتْ بِحِجَازٍ فَلَا يُجْلِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ الْيَمَنِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يُصَالِحَهُمْ عَلَى مُقَامِهِمْ بِالْيَمَنِ.

فَأَمَّا سَائِرُ الْبُلْدَانِ مَا خَلَا الْحِجَازِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يُصَالِحُوا عَلَى الْمُقَامِ بِهَا، فَإِذَا وَقَعَ لِذِمِّيٍّ حَقٌّ بِالْحِجَازِ وَكَّلَ بِهِ، وَلَمْ أُحِبَّ أَنْ يَدْخُلَهَا بِحَالٍ، وَلَا يَدْخُلَهَا لِمَنْفَعَةٍ لِأَهْلِهَا، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الدُّخُولِ كَتِجَارَةٍ يُعْطِي مِنْهَا شَيْئًا[٨١].

ولذا قال البيهقي : وقد روينا في الحديث الثابت، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، وقال في رواية عمر بن عبد العزيز، وابن شهاب منقطعا: «لا يبقين دينان بأرض العرب»، والمراد به، والله أعلم، أرض الحجاز خاصة، لما روينا في الحديث الثابت عن ابن عمر، أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز[٨٢].

وقال أيضا: قَدْ جَعَلُوا الْيَمَنَ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ وَالْجَلَاءُ وَقَعَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَذِمَّةُ أَهْلِ الْحِجَازِ دُونَ ذِمَّةِ أَهْلِ الْيَمَنِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِحِجَازٍ ، لَا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهَا مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَالْجَلَاءُ فِي الْحَدِيثِ تَخْصِيصٌ ، وَفِي حَدِيثِ سَمُرَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَلِيلٌ أَوْ شِبْهُ دَلِيلٍ عَلَى مَوْضِعِ الْخُصُوصِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ[٨٣].

قال الحسين بن محمد اللاعي، المعروف بابن المغربي – معلقا على كلام البيهقي – : وقول البيهقي: دليل أو شبه دليل. يعني أن حديث أبي عبيدة أخرجه أحمد والبيهقيّ أنَّه قال: آخر ما تكلم به النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – قال: "أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب". فيه ذكر بعض أفراد العام، وهو يهود الحجاز محكومًا عليه بما حكم به على العام، وهو إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، لا يقتضي التخصيص عند الأكثر، وإن كان يقتضيه عند أبي ثور من أصحاب الشَّافعي، فهو دليل عند أبي ثور وشبه دليل عند غيره، إلَّا أن التخصيص متأيد بحديث معاذ لما بعثه النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – إلى اليمن وأمره بتقرير الجزية على كل حاتم دينارًا أو عدله معافريًّا. وهذا خاص باليمن، وورد بعده حديث الوصيَّة. فعلى مقتضى ما ذهب إليه الشَّافعي، ورجحه كثير من المتأخرين، أن الخاص المتقدم مخصص للعام المتأخر، فهو مخصص لليمن، وهو دليل واضح. ويترجح أيضًا بعمل الخلفاء الراشدين على تقريرهم في اليمن[٨٤].

وهو قد ألف رسالة خاصة بهذا المبحث، رسالة في إخراج اليهود من جزيرة العرب، وهي رسالة رَجَّح فيها أنَّه إنَّما يجوز إخراجهم من الحجاز فقط، مستدلًا بما في الحديث من روايات وهي اقتصارها على الحجاز فقط[٨٥].

وقال ابن قدامة: فكأن جزيرة العرب في تلك الأحاديث أريد بها الحجاز، وإنما سمي حجازا، لأنه حجز بين تهامة ونجد. ولا يمنعون أيضا من أطراف الحجاز، كتيماء وفيد ونحوهما؛ لأن عمر لم يمنعهم من ذلك[٨٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته: أن تخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب – وهي الحجاز –، فأخرجهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة وخيبر وينبع واليمامة ومخاليف هذه البلاد[٨٧].

وقال الحافظ ابن حجر: وسميت جزيرة العرب، لإحاطة البحار بها- يعني بحر الهند وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الحبشة – وأضيفت إلى العرب لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم ومنازلهم، لكن الذي يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها، لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب، لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها، مع أنها من جملة جزيرة العرب [٨٨].

قال الشوكاني: ما استنبطه الأمير الحسين في الشفاء، والإمام المهدي في الغيث من حديث: "أخرجوا اليهود من الحجاز " قالا: لما قال أخرجوهم من جزيرة العرب ثم قال:" أخرجوهم من الحجاز"، عرفنا أن مقصوده بجزيرة العرب الحجاز فقط، ولا مخصص للحجاز عن سائر البلاد إلا أن رعاية المصلحة في إخراجهم منه أقوى، فوجب مراعاة المصلحة إذا كانت في تقريرهم أقوى منها في إخراجهم. ولا شك أن امتناعهم من القيام بهذه العهدة التي هي رأس المصالح قادح في جواز التقرير، قادح. قال في الغيث: هذا أقوى ما يحتج به أصحابنا في جواز تقريرهم في بلاد العرب..... وأما تخصيص الأمر بالإخراج بالحجاز فقد ذهب إليه جماعة من العلماء، ونصره العلامة المغربي الحسين بن محمد صاحب البدر، وألف في ذلك رسالة نفيسة[٨٩]. وستأتي مناقشة الشوكاني لهذا القول.

القول الثاني: أن الحديث على عمومه في جزيرة العرب وخصت أرض الحجاز بالذكر تأكيدا لشدة المنع فيها.

قال الشوكاني: إذا نظر المنصف إلى أن آخر ما تكلم به النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: "أخرجوا اليهود من جزيرة العرب" وأمعن النظر في المسألة الأصولية – أعني بناء العام على الخاص على جميع التقادير–، أو بناءه على بعضها دون بعض. وتأمل ما ثبت في الحديث بلفظ: "لا يجتمع دينان"، "لا يبق دينان بأرض العرب". "لا تجتمع قبلتان". "المسلم والكافر لا تتراءى ناراهما" عرف العلة التي هي الباعثة على الأمر بالإخراج، وعرف

الزيادة التي يجب قبولها عند كمال شروطها بالاتفاق في أي الجانبين هي، وتبين له لزوم الإلحاق بالعلة المنصوصة، ولاح له أن مفهوم حديث "أخرجوا اليهود من الحجاز" لا يعارض منطوق ما في الصحيحين ، وتقرير الأدلة على وجه يلوح به رجحان وجوب إخراجهم من جميع جزيرة العرب محتاج إلى بسط طويل يخرجنا عن المقصد الذي نحن بصدده[٩٠].

وقال الصنعاني: وأما من قال: إن المراد بجزيرة العرب في هذه الأحاديث الحجاز لا غير مستدلا بقوله ﷺ "أخرجوهم من الحجاز"، فقول ضعيف واستدلال لا يقول به لبيب، لأن جزيرة العرب تتناول الحجاز وغيره، وذكر الحجاز لا يكون نسخا، لأنه لا ينسخ الأعم مدلولا بالأخص عند فحول العلماء.....وإذا عرفت هذا فحديث "أخرجوهم من الحجاز" إنما جيء به لتأكيد الحكم فيه، لدخوله في مفهوم الأعم ،ثم ذكره مستقلا فكأنه قيل : أخرجوهم من الحجاز أخرجوهم من الحجاز، ولا شك أن ذلك تأكيد للحكم عليه بالإخراج ،وكذلك لا يكون بيانا لأن لفظ جزيرة العرب لفظ واضح في معناه لا إجمال فيه، فلا يفتقر إلى البيان، فليس ذكر الحجاز مستقلا إلا إفرادا له بالحكم زيادة في العناية بإخراجهم عن الحجاز، وكان ذلك – والله أعلم – لزيادة شرفه على سائر المحلات، لقربه من الحرمين دون سائر جهاتها من اليمن واليمامة وغيرهما والله أعلم.

ولذلك سارع عمر بن الخطاب ﷺ بإجلائهم عنه، اهتماما بما اهتم به رسول الله ﷺ ،وليس في إخراجه لهم دليل على أنه المراد بجزيرة العرب كما قيل، فإن تركه لإخراجهم عما عداه لا يصلح قاصرا لمفهوم الحديث الشامل لجزيرة العرب، لأن الترك لا يستدل به، لجواز أنه لعذر [٩١]. وهذا القول تجتمع به جميع الأدلة، وإعمال الأدلة كلها أولى من إهمال بعضها.والله أعلم.

المبحث الرابع:

أن الإسلام يأرز ويعود إلى الحجاز (ما بين مكة والمدينة)كما تأرز الحية إلى جحرها قبل يوم القيامة

ومما اختص الله به الحجاز عما سواها من الأماكن، أن الدين في آخر الزمان يرجع فيكون محصورا فيها. وهذا في الحجاز بشكل عام، فحكم النبي صلى الله عليه وسلم؛ بأن بلاد الحجاز وأرض الحجاز مأوى للمؤمنين، يفيئون إليها مرة بعد أخرى، - كما سيأتي في الأحاديث- ولا شك أن هذه تزكية رفيعة لهم إلا أنها ليست مطلقة؛ لأن أهل الحجاز حتى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهم كفار معاندون، وكان فيهم منافقون مستترون بنفاقهم وكفرهم، وكان فيهم وفيهم... ولكن الغالب عليهم يومئذ الإيمان.وقد جاءت الأحاديث مصرحة بذلك فمن ذلك:

ما أخرجه مسلم، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»(٩٢).

وعَنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ الْإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لَيَأْرِزَنَّ الْإِيمَانُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»(٩٣). وجود إسناده محققوا المسند(٩٤).

وفي المسند مثله (٩٥)، من حديث عبدالرحمن بن سنة ﷺ، وسنده ضعيف.

قال الإمام النووي: وقوله صلى الله عليه وسلم (وهو يأرز) بياء مثناة من تحت بعدها همزة ثم راء مكسورة ثم زاي معجمة، هذا هو المشهور، وحكاه صاحب المطالع مطالع الأنوار عن أكثر الرواة قال: وقال أبو الحسين بن سراج: (ليأرز) بضم الراء، وحكى القابسي فتح الراء، **ومعناه ينضم ويجتمع**، هذا هو المشهور عند أهل اللغة والغريب وقيل في معناه غير هذا مما لا يظهر، وقوله صلى الله عليه وسلم (بين المسجدين)أي مسجدي مكة والمدينة.... وقوله صلى الله عليه وسلم (وهو يأرز إلى المدينة) معناه أن الإيمان أولا وآخرا بهذه الصفة، لأنه في أول

الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجرا مستوطنا وإما متشوقا إلى رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ومتعلما منه ومتقربا[٩٦] .

وقد جاء الحديث مصرحا بلفظ الحجاز، فعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)[٩٧].

قال المظهري: قوله: "إن الدين ليأرز إلى الحجاز"، (يَأْرِزُ)؛ أي: يلتجئ ويجتمع، (الحجاز): اسم مكة والمدينة وحواليهما من البلاد، سميت هذه البلاد حجازًا لأنها حجزت؛ أي: منعت وفَصَلَتْ بين بلاد نَجْدٍ وبلاد الغَور، والغَوْرُ: المنخفض من الأرض.

(عقل) – بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر – عقولًا: إذا التجأ إلى أحد أو إلى مكان محفوظ من إيذاء الأعداء. "الأُرْوِيَّة": الأنثى من المعز الجبلي؛

يعني: **إذا ضعف الدين وغلب الكفار على المسلمين يفر الدين من البلاد إلى الحجاز، كما أنه ظهر من الحجاز؛ يعني: يفرُّ أهل الإسلام في آخر الزمان من الكفَّار والدَّجال إلى الحجاز؛ لأنه لا يصل الدَّجال وغلبة الكفار إلى الحجاز**[٩٨].

وجاءت بعض الروايات مخصصة رجوع الإيمان إلى المدينة خاصة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها [٩٩].

والتوفيق بين هذه الرواية وما قبلها كما قال عبيدالله المباركفوري :

قِيلَ: التَّوْفِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا سَبَقَ إِنْ سُلِّمَ أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ مُتَرَادِفَانِ، أَنَّهُ يَأْرِزُ أَوَّلًا إِلَى الْحِجَازِ أَجْمَعَ، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا مُسْتَقَرُّهُ أَوَّلًا، فَعَادَ إِلَيْهَا لِتَكُونَ مُسْتَقَرَّهُ آخِرًا أَيْضًا، فَإِنَّ النِّهَايَةَ هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى الْبِدَايَةِ، وَلِأَنَّ الْمَدِينَةَ مَغِيبُ النُّبُوَّةِ فَتَصِيرُ مَغِيبَ الشَّرِيعَةِ..... وَالْمَعْنَى أَنَّ الدِّينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَاسْتِيلَاءِ الْكَفَرَةِ وَالظَّلَمَةِ عَلَى بِلَادِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَعُودُ إِلَى الْحِجَازِ كَمَا بَدَأَ مِنْهُ[١٠٠]. والله أعلم.

المبحث الخامس:

الترغيب في سكنى الحجاز (المدينة) كما فسرها صلى الله عليه وسلم والترهيب من تركها كرها لها .

وهذا أيضا مما خصت به أرض الحجاز عموما والمدينة خصوصا، ألا وهي الترغيب في سكناها، بل والحث على الموت فيها، وشفاعة النبي الكريم ﷺ لمن مات بها، وهذه الفضيلة لم ترد في سكنى أي مكان آخر، وهذه الأدلة تدل على ذلك.

أخرج مسلم[١٠١]، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ".

قال القرطبي: قوله:(يأتي على النَّاس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هَلُمَّ إلى الرخاء)، هذا منه – صلى الله عليه وسلم – إخبار عن أمر غيب وقع على نحو ما ذكر، وكان ذلك من أدلة نبوَّته، وعنى بذلك أن الأمصار تفتح على المسلمين فتكثر الخيرات وتترادف عليهم الفتوحات، كما قد اتفق عند فتح الشام والعراق والدِّيار المصرية وغير ذلك، **فركن كثير ممن خرج من الحجاز وبلاد العرب** إلى ما وجدوا من الخصب والدَّعة بتلك البلاد المفتوحة فاتخذوها دارًا ودعوا إليهم من كان بالمدينة لشدَّة العيش بها وضيق الحال، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)، وهي خير من حيث تعذر الترفه فيها وعدم الإقبال على الدنيا بها[١٠٢].

قال القرطبي: قوله:(لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه)؛ يعني أن الذي يخرج من المدينة راغبًا عنها – أي زاهدًا فيها – إنما هو إما جاهل بفضلها وفضل المقام فيها أو كافر بذلك، وكل واحد من هذين إذا خرج منها فمن بقي من المسلمين خير منه وأفضل على كل حال، **وقد قضى الله تعالى بأن مكة والمدينة لا تخلوان من أهل العلم والفضل والدِّين** إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهم الخلف ممن خرج رغبة عنها[١٠٣].

وقوله: (ألا إن المدينة كالكير تنفي خبثها...) قال الحافظ ابن حجر: قال عياض :وكأن هذا مختص بزمنه ﷺ لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه، وقال النووي: ليس هذا بظاهر لأن عند مسلم(لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد)، وهذا والله أعلم زمن الدجال. انتهى

ويحتمل أن يكون المراد كلا من الزمنين، وكان الأمر في حياته صلى الله عليه وسلم كذلك للسبب المذكور، ويؤيده قصة الأعرابي الآتية بعد أبواب فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الحديث معللا به خروج الأعرابي وسؤاله الإقالة عن البيعة[١٠٤]، ثم يكون ذلك أيضا في آخر الزمان عندما ينزل بها الدجال فترجف بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج إليه[١٠٥].

فهذا الفضل باق إلى قيام الساعة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»[١٠٦].

قال الحافظ ابن حجر: قوله: (أمرت بقرية) أي أمرني ربي بالهجرة إليها أو سكناها، فالأول محمول على أنه قاله بمكة والثاني على أنه قاله بالمدينة، قوله: (تأكل القرى)أي تغلبهم، وكنى بالأكل عن الغلبة لأن الآكل غالب على المأكول، ووقع في موطأ ابن وهب قلت لمالك: ما تأكل القرى؟ قال: تفتح القرى.

وبسطه ابن بطال فقال: معناه يفتح أهلها القرى فيأكلون أموالهم ويسبون ذراريهم، قال: وهذا من فصيح الكلام تقول العرب: أكلنا بلد كذا إذا ظهروا عليها، وسبقه الخطابي إلى معنى ذلك أيضا، وقال النووي: ذكروا في معناه وجهين أحدهما: هذا، والآخر: أن أكلها وميرتها من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها وقال ابن المنير: في الحاشية يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غلبة فضلها على فضل غيرها، ومعناه أن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدما.

قوله: (يقولون يثرب وهي المدينة) أي: إن بعض المنافقين يسميها يثرب، واسمها الذي يليق بها المدينة، وفهم بعض العلماء من هذا كراهة تسمية المدينة يثرب، وقالوا: ما وقع في القرآن إنما هو حكاية عن قول غير المؤمنين وروى أحمد من حديث البراء بن عازب ﷺ رفعه (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة)[١٠٧] وروى عمر بن شبة من حديث أبي أيوب ﷺ (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقال للمدينة:

يثرب)[١٠٨] ولهذا قال عيسى بن دينار من المالكية :من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة، قال: وسبب هذه الكراهة لأن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب وهو الفساد وكلاهما مستقبح، وكان صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح، وذكر أبو إسحاق الزجاج في مختصره وأبو عبيد البكري في معجم ما استعجم: أنها سميت يثرب باسم يثرب بن قانية بن مهلايل بن عيل بن عيص بن إرم بن سام بن نوح لأنه أول من سكنها بعد العرب[١٠٩].

وقال القرطبي: فأما قوله تعالى: {يَا أَهلَ يَثرِبَ لا مُقَامَ لَكُم فَارجِعُوا} هو حكاية عن قول المنافقين. وقيل: سُميت يثرب بأرض هناك، المدينة ناحية منها. وقد سماها النبي – صلى الله عليه وسلم – طيبة وطابة، من الطيب، وذلك أنها طيبة التربة والرائحة، وهي تربة النبي صلى الله عليه وسلم، وتُطيِّبُ من سكنها ويستطيبها المؤمنون[١١٠].

وفي الصحيحين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعْكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا»[١١١].

قال الإمام النووي: قال العلماء: إنما لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم بيعته لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام ولا لمن هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره قالوا وهذا الأعرابي كان ممن هاجر وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على المقام معه.....

قوله صلى الله عليه وسلم (إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها) هو بفتح الياء والصاد المهملة: أي يصفو ويخلص ويتميز، والناصع الصافي الخالص، ومنه قولهم: ناصع اللون أي صافيه وخالصه، ومعنى الحديث: أنه يخرج من المدينة من لم يخلص إيمانه ويبقى فيها من خلص إيمانه[١١٢].

وعن عبدالله بن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها)[١١٣].

قال الملا علي القاري: (من استطاع أن يموت بالمدينة) أي يقيم بها حتى يدركه الموت ثمة (فليمت بها) أي فليقم بها حتى يموت بها (فإني أشفع لمن يموت بها) أي في محو سيئات العاصين، ورفع درجات المطيعين، والمعنى:

شفاعة مخصوصة بأهلها لم توجد لمن لم يمت بها، ولذا قيل: الأفضل لمن كبر عمره أو ظهر أمره بكشف ونحوه من قرب أجله ؛ أن يسكن المدينة ليموت فيها، ومما يؤيده قول عمر: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي ببلد رسولك [١١٤].

وقال المباركفوري : قوله (من استطاع) أي قدر ،(أن يموت بالمدينة) أي يقيم بها حتى يدركه الموت ثمت ،(فليمت بها) أي فليقم بها حتى يموت ،فهو حث على لزوم الإقامة بها، (فإني أشفع لمن يموت بها) أي أخصه بشفاعتي غير العامة زيادة في إكرامه، قال الطيبي: أمر له بالموت بها، وليس ذلك من استطاعته بل هو إلى الله تعالى لكنه أمر بلزومها والإقامة بها بحيث لا يفارقها، فيكون ذلك سببا لأن يموت فيها، فأطلق المسبب وأراد السبب كقوله تعالى: {فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون}[١١٥].

وعن الصُّمَيْتَةَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ، كَانَتْ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا؛ فَإِنِّي أَشْفَعُ لَهُ، أَوْ أَشْهَدُ لَهُ»[١١٦].

وعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، قَالَ: أَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَجَعَلُوا يَجُرُّونَ النَّمِرَةَ عَلَى وَجْهِهِ فَتُكْشَفُ قَدَمَاهُ، وَيَجُرُّونَهَا عَلَى قَدَمَيْهِ فَيُكْشَفُ وَجْهُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلُوهَا عَلَى وَجْهِهِ وَاجْعَلُوا عَلَى قَدَمَيْهِ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ» قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رأسه فإذا أصحابه يبكون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْرُجُونَ إِلَى الْأَرْيَافِ فَيُصِيبُونَ بِهَا مَطْعَمًا وَمَلْبَسًا وَمَرْكَبًا» أَوْ قَالَ: «مَرَاكِبَ فَيَكْتُبُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا فَإِنَّكُمْ بِأَرْضِ الْحِجَازِ- يَعْنِي- وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١١٧].

قال الحافظ ابن حجر: (والمدينة خير لهم) قوله:(لو كانوا يعلمون) أي بفضلها من الصلاة في المسجد النبوي وثواب الإقامة فيها وغير ذلك، ويحتمل أن يكون (لو) بمعنى ليت، فلا يحتاج إلى تقدير، وعلى الوجهين ففيه تجهيل لمن فارقها وآثر غيرها قالوا: والمراد به الخارجون من المدينة رغبة عنها كارهين لها، وأما من خرج لحاجة أو تجارة أو جهاد أو نحو ذلك فليس بداخل في معنى الحديث[١١٨].

عَنْ أَفْلَحَ، مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ مَرَّ بِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي أَيُّوبَ وَهُمَا قَاعِدَانِ عِنْدَ مَسْجِدِ الْجَنَائِزِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَذْكُرُ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، عَنِ الْمَدِينَةِ سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُفْتَحُ فِيهِ فَتَحَاتُ الْأَرْضِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهَا رِجَالٌ يُصِيبُونَ رَخَاءً وعَيْشًا وَطَعَامًا فَيَمُرُّونَ عَلَى إِخْوَانٍ لَهُمْ حُجَّاجًا أَوْ عُمَّارًا فَيَقُولُونَ: مَا يُقِيمُكُمْ فِي لَأْوَاءِ الْعَيْشِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ؟، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَذَاهِبٌ وَقَاعِدٌ - حَتَّى قَالَهَا مِرَارًا - وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَا يُثْبُتُ بِهَا أَحَدٌ فَيَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، حَتَّى يَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا»[١١٩].

قال المباركفوري: وقال ابن المنير: ظاهر هذا الحديث ذم من خرج من المدينة، وهو مشكل فقد خرج منها جمع كثير من الصحابة وسكنوا غيرها من البلاد وكذا من بعدهم من الفضلاء؟

والجواب: أن المذموم من خرج عنها كراهة فيها ورغبة عنها، كما فعل الأعرابي المذكور، وأما المشار إليهم فإنما خرجوا لمقاصد صحيحة كنشر العلم وفتح بلاد الشرك والمرابطة في الثغور وجهاد الأعداء، وهم مع ذلك على اعتقاد فضل المدينة وفضل سكناها[١٢٠].

ونختم هذا المبحث بكلام نفيس رائع رائق لشيخ الإسلام ابن تيمية .

قال: ولهذا كان أفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع لله ورسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل، وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان: أن الأرض لا تقدس أحدا وإنما يقدس العبد عمله. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في أشياء من جملتها هذا[١٢١]. والله أعلم.

المبحث السادس :

أرض الحجاز مركز لانطلاق البعوث في عهد الراشدين داعية للدين الجديد وفتح مشارق الأرض ومغاربها ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم

فالمدينة دار الهجرة ، ومجتمع المهاجرين والأنصار ، ودار الجهاد ، فمنها سيرت الجيوش ، وانطلقت الغزوات والسرايا ، ففتحت البلاد ، وانتشر الدين ، وانقمع الشرك وأهله .ففي الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى ، يَقُولُونَ يَثْرِبُ ، وَهِيَ المَدِينَةُ ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ) (١٢٢).

قال النووي رحمه الله :" ذَكَرُوا فِي مَعْنَى أَكْلُهَا الْقُرَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مَرْكَزُ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، فَمِنْهَا فُتِحَتِ الْقُرَى ، وَغُنِمَتْ أَمْوَالُهَا وَسَبَايَاهَا، وَالثَّانِي مَعْنَاهُ: أَنَّ أَكْلَهَا وَمِيرَتَهَا تَكُونُ مِنَ الْقُرَى الْمُفْتَتِحَةِ ، وَإِلَيْهَا تُسَاقُ غَنَائِمُهَا(١٢٣).

وقال الحافظ ابن حجر: قوله (تأكل القرى) أي تغلبهم، وكنى بالأكل عن الغلبة، لأن الآكل غالب على المأكول ووقع في موطأ ابن وهب قلت لمالك: ما تأكل القرى؟ قال: تفتح القرى. وبسطه ابن بطال فقال: معناه يفتح أهلها القرى فيأكلون أموالهم ويسبون ذراريهم، قال: وهذا من فصيح الكلام، تقول العرب: أكلنا بلد كذا إذا ظهروا عليها، وسبقه الخطابي إلى معنى ذلك أيضا(١٢٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا) (١٢٥).

وقال النووي : (يَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ) مَعْنَاهُ : أَنَّ الْإِيمَانَ أَوَّلًا وَآخِرًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، لِأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ كَانَ كُلُّ مَنْ خَلَصَ إِيمَانُهُ وَصَحَّ إِسْلَامُهُ أَتَى الْمَدِينَةَ ، إِمَّا مُهَاجِرًا مُسْتَوْطِنًا وَإِمَّا مُتَشَوِّقًا إِلَى رُؤْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُتَعَلِّمًا مِنْهُ وَمُتَقَرِّبًا، ثُمَّ بَعْدَهُ هَكَذَا فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ كَذَلِكَ ، وَلِأَخْذِ سِيرَةِ الْعَدْلِ مِنْهُمْ وَالِاقْتِدَاءِ بِجُمْهُورِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا سُرُجَ الْوَقْتِ وَأَئِمَّةَ الْهُدَى لِأَخْذِ السُّنَنِ الْمُنْتَشِرَةِ بِهَا عَنْهُمْ ، فَكَانَ كُلُّ ثَابِتِ الْإِيمَانِ مُنْشَرِحِ الصَّدْرِ بِهِ يَرْحَلُ إِلَيْهَا(١٢٦). انتهى

قال الحافظ ابن حجر: قوله: (كما تأزر الحية إلى جحرها) أي: إنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي صلى الله عليه وسلم فيشمل ذلك جميع الأزمنة، لأنه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم[١٢٧]. والله أعلم.

المبحث السابع :

خروج نار عظيمة من الحجاز تضيئ أعناق الإبل ببصرى (في أكناف الشام). وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وإخباره بالأمور المستقبلة.

ومما ورد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يكون في الحجاز من الأمور المستقبلية، وهو من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، ما أخبر به من خروج نار عظيمة من أرض الحجاز.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى»[١٢٨].

والروايات التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل أنهما ناران، فأما الأولى التي جاءت في هذه الرواية، فأكثر أهل العلم على أنها قد وقعت وانقضت، وإليك أقوالهم في ذلك:

قال القرطبي: وقد خرجت نار عظيمة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت النار بقريظة عند قاع التنعيم، بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم كأعظم ما يكون من البلدان، عليها سور يحيط بها عليه شرافات كشرافات الحصون، وأبراج ومآذن، ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار إلى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة.... نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من جحر مسيرة خمسة أيام، وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى..... حتى إنها أذابت الرصاص التي عليها العمد فوقعت ولم يبق غير السور واقفا[١٢٩].

وقال الحافظ ابن حجر: وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام، وقال أبو شامة في ذيل الروضتين: وردت في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كتب من المدينة الشريفة فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين فذكر هذا الحديث، قال: فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب

بتيماء[١٣٠] على ضوئها الكتب..... قال: ولا أقدر أصف عظمها ولها دوي، قال أبو شامة: ونظم الناس في هذا أشعارا ودام أمرها أشهرا ثم خمدت، والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى، وقد وقع في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية نحو هذه النار التي ظهرت بنواحي المدينة في زمن خالد بن سنان العبسي، فقام في أمرها حتى أخمدها ومات بعد ذلك[١٣١].

قوله في الحديث (أعناق الإبل).قال الحسين بن محمود المظهري: قيل: (الأَعْنَاق): جمع عَنَق - بفتح العين والنون - وهو الجماعة.وقيل: (الأَعْنَاق): جمع عُنُق - بضم النون والعين - وهو العضو المشهور. وقيل: إنما خصَّ الأعناق؛ لكبرِهَا وطولِهَا، وهذا أظهر.

وتخصيص (بصرى) دون غيره من البلاد مُطلقًا مِنْ أسرار النبوة[١٣٢].قوله في الحديث (ببصرى) قال ياقوت الحموي: في موضعين، بالضم، والقصر: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديما وحديثا، ذكرها كثير في أشعارهم.

وبصرى أيضا: من قرى بغداد قرب عكبراء[١٣٣].والتي ذكرت في الحديث هي التي في الشام. قال النووي: وأما (بصرى) فبضم الباء، وهي: مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وهي مدينة حوران وبينها وبين مكة شهر [١٣٤].

يقول حمزة قاسم: دل هذا الحديث على أن من علامات الساعة ظهور هذه النار من الحجاز..... ويرى الباحثون أنّها انفجار بركاني في حرة قريظة[١٣٥] .[١٣٦]

والمقصود بالخبر أن هذه النار يبلغ ضوءها إلى بصرى حتى تنور أعناق الإبل القائمة هناك. والظاهر أن هذه العلامة قد وقعت فإنه ذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أنها خرجت نار من المدينة المنورة بهذه الصفات في ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة سنة (٦٥٤) والله أعلم[١٣٧].

وأما النار الأخرى :

فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ،

وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، **وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِم**[١٣٨].

قال الإمام النووي: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وفي رواية: (نار تخرج من قعرة عدن)، هكذا هو في الأصول قعرة بالهاء والقاف مضمومة، ومعناه من أقصى قعر أرض عدن، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن، قال الماوردي: سميت عدنا من العدون وهي الإقامة، لأن تبعا كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس كما صرح به في الحديث، أما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى بعده: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى) فقد جعلها القاضي عياض حاشرة، قال: ولعلها ناران يجتمعان لحشر الناس، قال: أو يكون أبتداء خروجها من اليمن، ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز، هذا كلام القاضي، وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة، وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارا عظيمة جدا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان[١٣٩].

قال الحافظ ابن حجر: والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب، هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى[١٤٠].

فقوله: (نار تخرج من اليمن تطرد الناس).أي تسوقهم ، قوله: (إلى محشرهم) وهو أرض الشام، وهذه النار غير النار التي سيأتي ذكرها في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[١٤١]، فإنها تخرج من أرض الحجاز وتضيء أعناق الإبل ببصرى، وسيأتي الكلام عليها هناك، أما النار المذكورة هنا فتخرج من اليمن، ووقع في الرواية الآتية أنها تخرج من قعرة عدن، ووقع في حديث ابن عمر عند أحمد[١٤٢] مرفوعًا "تخرج نار قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس" وأما قوله (فتطرد الناس إلى محشرهم) فالمراد منه أن الناس يخرجون من بيوتهم فرارًا منها وهجرة إلى مواضع أخرى، والمراد من المحشر أرض يجتمع فيها معظمهم بعد الفرار منها[١٤٣].

المبحث الثامن :

خروج المهدي الحق من أرض الحجاز وخروجه آخر علامات الساعة الصغرى المرتبطة بالكبرى ومنها نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال .

من خصائص الحجاز التي وردت في السنة النبوية، خروج المهدي في آخر الزمان، من المدينة النبوية إلى مكة المكرمة، وخروجه يعتبر من خلال استقراء العلامات جميعها وترتيب حدوثها آخر علامة من علامات الساعة الصغرى التي ترتبط مباشرة بالكبرى وهي خروج الدجال وتجمع المؤمنين مع المهدي لقتله وانهاء فتنته ،والعلامة الثانية نزول نبي الله عيسى بن مريم وصلاته خلف المهدي صلاة الفجر ، فيكوزن قتل الدجال من خصايصه ومهامه كما سيأتي .

فعن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من أهل الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثا، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون» قال أبو داود: قال بعضهم عن هشام: «تسع سنين»، وقال بعضهم: «سبع سنين»[١٤٤].

قال ابن رسلان الشافعي: قوله: (يكون اختلاف عند موت خليفة) وروى الحاكم في "المستدرك": ذكر رسول اللهَّ -صلى اللهَّ عليه وسلم- بلاء يصيب هذِه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث اللهَّ رجلًا من عترتي[١٤٥].

(فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة) مما أصاب الناس من البلاء (فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه) من بيته (وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام) على الإسلام والنصرة، والمبايعة باليد واللسان

(ويبعث إليه بعثًا من الشام) هاربين إلى مكة أيضًا (فيخسف بهم)..... قوله: (بالبيداء) بالمد،.... (بين مكة والمدينة) أي: بين مسجد مكة والمدينة، والبيداء هي الشرف الذي أمام ذي الحليفة، وهو أرض ملساء[١٤٦].....

قوله: (فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام) قال في "النهاية": هم الأولياء والعباد، الواحد بدل كحمل، أو بديل كحميل.....

قوله: (وعصائب أهل العراق) والعصائب في الأصل جمع عصابة، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين لا واحد لها من لفظها. والمراد بالعصائب في العراق أن التجمع للحروب يكون بالعراق. وقيل: أراد جماعة من العباد والزهاد فسماهم عصابة؛ ولهذا قرنهم بالأبدال، وكانوا يسمون السيد المطاع معصبًا؛ لأنه يعصب بالتاج، أو تعصب به أمور الناس أي: ترد إليه وتدار به كما تدار العصابة بالرأس.

(فيبايعونه) أي: يبايعون المهدي (ثم ينشأ) بفتح أوله وثالثه وهمز آخره. أي: يبتدئ للخروج عليه....

(رجل من قريش أخواله كلب) وقريش وكلب يجتمعون في كنانة، فإن قريشًا أولاد النضر بن كنانة على قول أكثر الناس، وكلب بن عون بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة.

(فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم) الضمير في (يظهرون) للمبايعين، والضمير في (عليهم) لبعث القرشي. يعني: إذا ظهر المهدي ودعا إلى دين الحق ظهر قرشي أخواله كلب، وهو منازع له باغ عليه حاسد (وذلك بعث كلب) واتفق أن أمه تكون من قبيلة كلب، فتكون تلك القبيلة أخواله فينتصرون لابن أختهم فتتقاتل شيعة الكلبي مع شيعة القرشي، فتغلب شيعة المهدي على بني كلب جيش القرشي.

(والخيبة) كل الخيبة (لمن لم يشهد غنيمة) بني كلب ويأخذ من أموالهم (فيقسم) مبني للفاعل. أي: يقسم (المال) الحاصل من غنيمة بني كلب على القسمة المشروعة (ويعمل في الناس) ويحكم فيهم (بسنة نبيهم) محمد (- صلى اللهَّ عليه وسلم- ويلقي) بضم الياء أوله، وكسر القاف (الإسلام بجرانه) بكسر الجيم، وتخفيف الراء (إلى الأرض) وأصل الجران باطن عنق البعير، وقيل: جيران البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، وأصله في البعير إذا مد عنقه على وجه الأرض، فيقال: ألقى بجرانه. وإنما يفعل ذلك إذا طال مقامه في مناخه واستراح، فضرب الجران مثلًا للإسلام إذا استقر قراره ولم يكن فيه تهيج، بل جرت أحكامه على العدل والاستقامة[١٤٧].

وقال العظيم آبادي: قوله: (يكون) أي يقع (اختلاف) أي في ما بين أهل الحل والعقد (عند موت خليفة) أي حكمية، وهي الحكومة السلطانية بالغلبة التسليطية (فيخرج رجل من أهل المدينة) أي كراهية لأخذ منصب الإمارة أو خوفا من الفتنة الواقعة فيها وهي المدينة المعطرة أو المدينة التي فيها الخليفة (هاربا إلى مكة) **لأنها مأمن كل من التجأ إليها ومعبد كل من سكن فيها،** قال الطيبي رحمه الله: وهو المهدي بدليل إيراد هذا الحديث أبو داود في باب المهدي (فيأتيه ناس من أهل مكة) أي بعد ظهور أمره ومعرفة نور قدره (فيخرجونه) أي من بيته (وهو كاره) إما بلية الإمارة، وإما خشية الفتنة، والجملة حالية معترضة (بين الركن) أي الحجر الأسود (والمقام) أي مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام (ويبعث) بصيغة المجهول أي: يرسل إلى حربه وقتاله، مع أنه من أولاد سيد الأنام وأقام في بلد الله الحرام (بعث) أي جيش (من الشام) وفي بعض النسخ من أهل الشام (بهم) أي بالجيش (بالبيداء) بفتح الموحدة وسكون التحتية، قال التوربشتي رحمه الله: هي أرض ملساء بين الحرمين، وقال في المجمع: اسم موضع بين مكة والمدينة، وهو أكثر ما يراد بها (فإذا رأى الناس ذلك) أي ما ذكر من خرق العادة، وما جعل للمهدي من العلامة (أتاه أبدال الشام) جمع بدل بفتحتين، قال في النهاية: هم الأولياء والعباد، الواحد بدل، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد بدل بآخر، قال السيوطي في مرقاة الصعود: لم يرد في الكتب الستة ذكر الأبدال إلا في هذا الحديث عند أبي داود، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه[١٤٨].

قوله: (وعصائب أهل العراق) أي خيارهم، من قولهم: عصبة القوم خيارهم قاله القارىء.

وقال في النهاية: جمع عصابة، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين، ولا واحد لها من لفظها،..... والمعنى أن الأبدال والعصائب يأتون المهدي (ثم ينشأ) أي يظهر (رجل من قريش) هذا هو الذي يخالف المهدي (أخواله) أي أخوال الرجل القرشي (كلب) فتكون أمه كلبية قال التوربشتي رحمه الله: يريد أن أم القرشي تكون كلبية، فينازع المهدي في أمره ويستعين عليه بأخواله من بني كلب (فيبعث) أي ذلك الرجل القرشي الكلبي (إليهم) أي المبايعين للمهدي (بعثا) أي جيشا (فيظهرون عليهم) أي فيغلب المبايعون على البعث الذي بعثه الرجل القرشي الكلبي (وذلك) أي البعث (بعث كلب) أي جيش كلب باعثه هوى نفس الكلبي (ويعمل) أي المهدي (في الناس بسنة نبيهم) فيصير جميع الناس عاملين بالحديث ومتبعيه (ويلقي) من الإلقاء (الإسلام

بجرانه) بكسر الجيم ثم راء بعدها ألف ثم نون، هو: مقدم العنق، قال في النهاية: الجران باطن العنق..... أي قر قراره واستقام، كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض انتهى[١٤٩].

قال أبو الحسن السندي: قوله: "بجرانه" بكسر جيم ثم راء بعد ألف ثم نون مقدم العنق، يقال: ألقى البعير جرانه على الأرض إذا برك، واستقر، فالمراد أن الإسلام يستقر في الأرض، وتجري أحكامه على الاستقامة والعدل ولا تكون فتنة ولا حرب[١٥٠].

وقد جاءت بعض الآثار التي تدل على أن خروج المهدي يكون من الحجاز فمن ذلك:

عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قال: «المهدي مولده بالمدينة، من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه اسم أبي، ومهاجره بيت المقدس، كث اللحية، أكحل العينين، براق الثنايا، في وجهه خال، أقنى أجلى، في كتفه علامة النبي، يخرج براية النبي صلى الله عليه وسلم من مرط مخملة سوداء مربعة، فيها حجر لم ينشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تنشر حتى يخرج المهدي، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم، يبعث وهو ما بين الثلاثين والأربعين»[١٥١].

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: " ثم يظهر المهدي بمكة عند العشاء ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقميصه وسيفه، وعلامات ونور وبيان، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: أذكركم الله أيها الناس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد اتخذ الحجة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئا، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعوانا على الهدى، ووزرا على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وأذنت بالوداع، فإني أدعوكم إلى الله، وإلى رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء سنته، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، عدة أهل بدر، على غير ميعاد قرعا كقزع الخريف، رهبان بالليل، أسد بالنهار، فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز، ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم، وتنزل الرايات السود الكوفة، فيبعث بالبيعة إلى المهدي، ويبعث المهدي جنوده في الآفاق، ويميت الجور وأهله، وتستقيم له البلدان، ويفتح الله على يديه القسطنطينية"[١٥٢].

وعن الصقر بن رستم، عن أبيه، قال: «المهدي رجل أزج أبلج أعين، يجيء من الحجاز حتى يستوي على منبر دمشق، وهو ابن ثمان عشرة سنة»[١٥٣].

فائدة: ذكر جمع من أهل العلم أن أحاديث المهدي متواترة تواترا معنويا.

يقول الشيخ العلامة حمود التويجري: وأما القول بأنها متواترة فقد صرح به غير واحد من العلماء، وقد تقدم قول أبي الحسين محمد بن الحسين الآبري في كتاب "مناقب الشافعي": "إنها قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلا، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه". انتهى.

وقد نقله عنه جماعة من أكابر العلماء وأقروه، منهم أبو عبد الله القرطبي في "التذكرة"، وابن القيم في كتابه "المنار المنيف"، والحافظ أبو الحجاج المزي في "تهذيب الكمال" في ترجمة محمد بن خالد الجندي الصنعاني، والحافظ ابن حجر في "باب نزول عيسى ابن مريم –عليهما السلام–" من "فتح الباري"، ونقله أيضًا في "تهذيب التهذيب" في ترجمة محمد بن خالد الجندي، والحافظ السخاوي في "فتح المغيث"، والسيوطي في "أخبار المهدي" وغيرهم.

وقال جعفر الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر": "وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة"، والسخاوي ذكر ذلك في "فتح المغيث"، ونقله عن أبي الحسين الآبري، وفي تأليف لأبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس الحسيني العراقي في المهدي أن أحاديثه متواترة أو كادت قال: "وجزم بالأول غير واحد من الحفاظ النقاد"، وفي شرح الرسالة للشيخ جسوس ما نصه: "ورد خبر المهدي في أحاديث ذَكَرَ السخاوي أنها وصلت إلى حد التواتر"، وفي "شرح المواهب" نقلا عن أبي الحسين الآبري في "مناقب الشافعي" قال:

"تواترت الأخبار أن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه"، وفي "مغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء" قال الشيخ أبو الحسين الآبري: "قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بمجيء المهدي، وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلا"..... وللقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني رسالة سماها "التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح"، قال فيها: "والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثًا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة

في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك". انتهى، وانظره فقد ذكر أحاديثه وتكلم عليها.

وقال السفاريني في كتابه "لوائح الأنوار البهية": "وقد كثرت الروايات بخروجه؛ يعني المهدي، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدَّ من معتقداتهم .... إلى أن قال: وقد روي عن بعض الصحابة بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة". انتهى.

وقال السفاريني أيضًا: "قال بعض حفاظ الأمة وأعيان الأئمة: إن كون المهدي من ذريته – صلى الله عليه وسلم – مما تواتر عنه ذلك، فلا يسوغ العدول عنه ولا الالتفات إلى غيره". انتهى.

وقال محمد البرزنجي في كتابه "الإشاعة": "أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان، وأنه من عترة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ولد فاطمة –رضي الله عنها– بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها". انتهى.

وقال الشوكاني: "الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة". انتهى.

وقال صديق بن حسن في كتابه "الإذاعة": "الأحاديث الواردة فيه –أي في المهدي– على اختلاف رواياتها كثيرة جدًا، تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام، من المعاجم والمسانيد".

وقال صديق أيضًا ما ملخصه: "لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان، لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة خلفًا عن سلف، إلا من لا يعتد بخلافه .... إلى أن قال: لا معنى للريب في أمر الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر". انتهى، وفيما ذكرته من أقوال أهل العلم أبلغ رد على من زعم أن أحاديث المهدي غير متواترة[١٥٤].

وقال الإمام عبدالعزيز بن باز: وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواتره،ا كما حكاه الأستاذ في هذه المحاضرة[١٥٥]، وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن

علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان، فإنه يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقاً وإرشاداً للناس، وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره وكما قال ابن القيم وغيره: فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده سواء كان صحيحاً لذاته أو لغيره، وسواء كان حسناً لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشد بعضها بعضاً فإنها حجة عند أهل العلم، فإن المقبول عندهم أربعة أقسام: صحيح لذاته، وصحيح لغيره، وحسن لذاته، وحسن لغيره، هذا ما عدا المتواتر، أما المتواتر فكله مقبول سواء كان تواتره لفظياً أو معنوياً، فأحاديث المهدي من هذا الباب متواترة تواتراً معنوياً فتقبل بتواترها من جهة اختلاف ألفاظها ومعانيها، وكثرة طرقها، وتعدد مخارجها.

وقد نص أهل العلم الموثوق بهم على ثبوتها وتواترها، وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك، والحق أن جمهور أهل العلم بل هو كالاتفاق على ثبوت أمر المهدي، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان، وأما من شذ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامهم في ذلك[١٥٦].

وقد جمع كل الأحاديث والآثار الواردة في المهدي، الحافظ السيوطي في رسالة له سماها، "العرف الوردي في أخبار المهدي".

وللمزيد من أخبار المهدي، ومكان خروجه، وعلاماته، ينظر كتاب "عقد الدرر في أخبار المنتظر" ليوسف بن يحي المقدسي الشافعي.وكتاب "الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر" للشيخ حمود بن عبدالله التويجري. والله أعلم.

المبحث التاسع :

خروج الدابة من خصائص أرض الحجاز ،وهي من علامات الساعة الكبرى.

والكلام على هذا المبحث يتكون من شقين:

الشق الأول: خروج الدابة، وهذا أمر قطعي لاشك فيه، وقد ثبت خروجها بالكتاب والسنة.

فأما الكتاب فقد قال الله ﷻ ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[١٥٧].

قال الإمام ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض –قيل: من مكة. وقيل: من غيرها. كما سيأتي تفصيله –فتكلم الناس على ذلك.

قال ابن عباس، والحسن، وقتادة –وروي عن علي رضي الله عنه –: تكلمهم كلاما أي: تخاطبهم مخاطبة.

وقال عطاء الخراساني: تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. ويروى هذا عن علي، واختاره ابن جرير. وفي هذا القول نظر لا يخفى، والله أعلم[١٥٨]. ولم يبين رحمه الله سبب هذا النظر.

ومما جاء في صحيح السنة من شأن الدابة، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ – فَذَكَرَ – الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ "[١٥٩].

وعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ "[١٦٠].

وعنه ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ "[١٦١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍوﷺ، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»(١٦٢).

وهذه الأحاديث كلها في صحيح مسلم، وهناك أحاديث أخر وفيما ذكر كفاية.

الشق الثاني: وهو خروجها من مكة.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ أَبِي سَرِيحَةَﷺ ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّابَّةَ فَقَالَ: " لَهَا ثَلَاثُ خَرَجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ، فَتَخْرُجُ فِي أَقْصَى الْبَادِيَةِ لَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي مَكَّةَ - ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ ذَلِكَ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا فِي الْبَادِيَةِ وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي مَكَّةَ - قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللهِّ حرمة أجرها، خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، لَمْ يَرُعْهُمْ إِلاَّ وهي ترغو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَانْفَضَّ النَّاسُ عَنْهَا شَتَّى وَمَعًا، وَثَبَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يعجزوا الله تعالى. فَبَدَأَتْ بِهِمْ، فَجَلَتْ وُجُوهَهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَأَنَّهَا الْكَوْكَبُ الدُّرِّي، وَوَلَّتْ فِي الأرض لا يدركها طَالِبٌ وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَاالصَّلَاةِ، فَتَأْتِيهُ مِنْ خَلْفِهِ، فَتَقُولُ: الْآنَ يَا فُلَانُ تُصَلِّي، فَيُقْبِلُ عَلَيْهَا، فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ تَنْطَلِقُ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ، ويصطحبون فِي الْأَمْصَارِ يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَقُولُ: يَا كَافِرُ أَقْضِنِي حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ أَقْضِنِي حَقِّي "(١٦٣).ضعيف

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض، ولم يخرجاه»

فتعقبه الذهبي بقوله: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد(١٦٤).وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك(١٦٥).وقال ابن كثير: هكذا رواه مرفوعا من هذا الوجه بهذا السياق، وفيه غرابة(١٦٦).وقال الحافظ ابن حجر: أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ العبقري عَنْ طَلْحَةَ وَحْدَهُ بِطُولِهِ، وَطَلْحَةُ ضَعِيفٌ(١٦٧).

وعَبْدُ اللهِّ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِﷺ، قَالَ: ذَهَبَ بِي رَسُولُ اللهِّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ، **قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ**، فَإِذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ". فَإِذَا فِتْرٌ(١٦٨) فِي شِبْرٍ(١٦٩).

قَالَ ابْنُ بُرَيْدَةَ: فَحَجَجْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ، فَأَرَانَا عَصًا لَهُ، فَإِذَا هُوَ بِعَصَايَ هَذِهِ، كَذَا وَكَذَا. قال البوصيري: هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف، خَالِد بن عبيد قَالَ الْبُخَارِيّ: فِي حَدِيثه نظر، وَقَالَ ابْن حبَان، وَالْحَاكِم: حدث عَن أنس بِأَحَادِيث مَوْضُوعَة[١٧٠].وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًا[١٧١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخرج دابة الأرض من جياد، فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد، وهى دابة ذات وبر وقوائم)[١٧٢]. وفي سنده عقبة بن أبي الحسناء قال علي بن المديني وأبو حاتم: مجهول[١٧٣]. وعنه ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «بئس الشعب جياد، تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات»[١٧٤].

وبالعموم، لم يثبت في مكان خروج الدابة شيء مرفوع صريحا قال العقيلي: في الدابة أحاديث بغير هذا الإسناد فيها لين، ما له إسناد جيد في خروجها مجملا[١٧٥]. فلم يرد هذا في حديث صحيح، والحديث الذي في مسلم لا يشير إلى مكان خروج هذه الدابة[١٧٦].

وقد جاء موقوفا على بعض الصحابة، فعن أبي الطفيل، قال: كنا جلوسا عند حذيفة ﷺ فذكرت الدابة، فقال حذيفة رضي الله عنه: " إنها تخرج ثلاث خرجات في بعض البوادي، ثم تكمن، ثم تخرج في بعض القرى حتى يذعروا وحتى تهريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن، قال: فبينما الناس عند أعظم المساجد وأفضلها وأشرفها – حتى قلنا المسجد الحرام وما سماه – إذ ارتفعت الأرض ويهرب الناس، ويبقى عامة من المسلمين يقولون: إنه لن ينجينا من أمر الله شيء، فتخرج فتجلو وجوههم حتى تجعلها كالكواكب الدرية، وتتبع الناس، جيران في الرباع شركاء في الأموال وأصحاب في الإسلام[١٧٧].

قال الشيخ سعد الشثري: هذا الإسناد رواته ثقات، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وعليه فإن هذا الطريق صحيح، وهو موقوف على حذيفة بن أسيد ﷺ، وله حكم الرفع إلى النبي ﷺ، لأنه إخبار عن أمر غيبي لا مجال للرأي فيه[١٧٨].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عمرو، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ: لَوْ شِئْتُ أَخَذْتُ سِبْتِيَّتَيَّ هَاتَيْنِ ثُمَّ مَشَيْتُ حَتَّى أَدْخُلَ الْوَادِي الَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ دَابَّةُ الْأَرْضِ، فَإِنَّهَا تَخْرُجُ وَهِيَ ذَامَّةٌ لِلنَّاسِ فَتَلْقَى الْمُؤْمِنَ فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ وَكَتِفِهِ،

فَيَبْيَضُّ لَهَا وَجْهُهُ، وَتَسِمُ الْكَافِرَ وَكَتِفَهُ، فَيَسْوَدُّ لَهَا وَجْهُهُ، وَهِيَ دَابَّةٌ ذَاتُ زَغَبٍ وَرِيشٍ فَتَقُولُ: {أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ}[١٧٩].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ صَدْعٍ فِي الصَّفَا كجَرِي الْفَرَسِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَخْرُجْ ثُلُثُهَا[١٨٠].

قال الدميري الشافعي: وأما الدابة التي هي أحد اشراط الساعة، فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ .

قال: إذا لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر، قيل: إنها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر، وقيل: هي مختلفة تشبه عدة من الحيوانات، يتصدع لها جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع، والناس سائرون إلى منى. وقيل: تخرج من الحجر وقيل: من أرض الطائف، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا، وتكتب في وجهه مؤمن، وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر. كذا رواه الحاكم في أواخر المستدرك[١٨١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم[١٨٢].

فالدابة حيوان عظيم الخِلْقَةْ يُعْطِيهْ الله – عز وجل – القدرة على وَسْمْ الناس، كما قال – عز وجل – في آخر سورة النمل: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ} يعني بقيام الساعة وبطلوع الشمس من مغربها.

{أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} وفي قراءة أخرى: {تَكْلِمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} وأيضاً {إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} ، يعني بفتح الهمزة من {أَنَّ} وكسرها.

وقوله: {تُكَلِّمُهُمْ} و {تَكْلِمُهُمْ} قراءتان صحيحتان تدلاَّنِ على معنيين مختلفين:

١- المعنى الأول: أنها تُكَلِّمْ وتحدِّثْ الناس، وهي آية، والعادة في الحيوان أَنَّهُ لا يُكَلِّمُ الناس، فهي تكلم الناس بلغاتهم وبما يفهمون عنها.

٢- المعنى الثاني: أنها تَكْلِمْ الناس بمعنى أَنَّهَا تَسِمُ الناس، والوسْمُ سَمَّاهُ الله – عز وجل – هنا كَلْماً لأنه يكون معه كَلْمُ الجلد والتأثير في الجلد كما يحصل في وسْمِ الدواب فإنه لا بد فيه من جُرْحٍ فيها أو من أثرٍ فيها، فتَسِمُ الناس هذا مؤمن وهذا كافر[١٨٣].

أما ما جاء في أوصافها قال الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله –: " والآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة) ، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل، وقد بين الحديث بعض فعلها، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة الآية، وأنها تخرج آخر الزمان، ووردت آثار أخر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها[١٨٤].

ويقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله –: " وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاما خارقا للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين وحجة على المعاندين "[١٨٥]. والله أعلم.

المبحث العاشر:

من خصائص الحجاز (مكة والمدينة) تحريمها على الدجال فلا يدخلها

ومن خصائص أرض الحجاز التي لا يشركها مكان آخر، أن الدجال حين يخرج في آخر الزمان لا يبقى مكان في الأرض إلا ودخله عدا مكة والمدينة.

فعن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(١٨٦).

قال الحافظ ابن حجر: قوله: (على أنقاب المدينة) جمع نقب بفتح النون والقاف بعدها موحدة، ووقع في حديث أنس وأبي سعيد اللذين بعده على نقابها، جمع نقب بالسكون وهما بمعنى، قال ابن وهب: المراد بها المداخل، وقيل: الأبواب، وأصل النقب الطريق بين الجبلين، وقيل: الأنقاب الطرق التي يسلكها الناس، ومنه قوله تعالى {فنقبوا في البلاد}.

قوله: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال) هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور، وشذ ابن حزم فقال: المراد إلا يدخله بعثه وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عما ثبت في صحيح مسلم: أن بعض أيامه يكون قدر السنة.

قوله: (ثم ترجف المدينة) أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصا في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال، ولا يعارض هذا ما في حديث أبي بكرة الماضي أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال، لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه، لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص، وحمل بعض العلماء الحديث الذي فيه أنها تنفي الخبث على هذه الحالة دون غيرها، وقد تقدم أن الصحيح في معناه أنه خاص بناس وبزمان، فلا مانع أن يكون هذا الزمان هو المراد ولا يلزم من كونه مرادا نفي غيره(١٨٧).

وفي حديث تميم الداري ﷺ الطويل، الذي روته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قال الدجال: إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ

مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً – أَوْ وَاحِدًا – مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» – يَعْنِي الْمَدِينَةَ – «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ....[١٨٨]

وعن أبي أمامة ﷺ في حديث طويل، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً، حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ، خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ)[١٨٩].

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على عدم مقدرة دخول الدجال مكة والمدينة، لأن على كل نقب من أنقابها ملك يحرسها. والله أعلم.

المبحث الحادي عشر:

من خصائص الحجاز أنها تُسكن إلى قيام الساعة، وأنها آخر ما تخلو من الأرض.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي - قَالَ: يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ -، وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَاهَا وُحُوشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، خَشِرَا عَلَى وُجُوهِهِمَا - أَوْ: خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا - "[١٩٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة)[١٩١].

قال الحافظ ابن حجر:

قوله: (على خير ما كانت) أي على أحسن حال كانت عليه من قبل، قال القرطبي تبعا لعياض: وقد وجد ذلك ،حيث صارت معدن الخلافة ومقصد الناس وملجأهم وحملت إليها خيرات الأرض وصارت من أعمر البلاد، فلما انتقلت الخلافة عنها إلى الشام ثم إلى العراق وتغلبت عليها الأعراب، تعاورتها الفتن وخلت من أهلها فقصدتها عوافي الطير والسباع.

والعوافي جمع عافية وهي: التي تطلب أقواتها، ويقال للذكر: عاف ، قال ابن الجوزي: اجتمع في العوافي شيآن أحدهما: أنها طالبة لأقواتها، من قولك: عفوت فلانا أعفوه فأنا عاف والجمع عفاة ،أي أتيت أطلب معروفه، والثاني: من العفاء وهو الموضع الخالي الذي لا أنيس به، فإن الطير والوحش تقصده لأمنها على نفسها فيه، وقال النووي: المختار أن هذا الترك يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، ويؤيده قصة الراعيين فقد وقع عند مسلم بلفظ: ثم يحشر راعيان ، وفي البخاري: أنهما آخر من يحشر قلت: ويؤيده ما روى مالك عن ابن حماس - بمهملتين وتخفيف- عن عمه عن أبي هريرةﷺ رفعه: (لتتركن المدينة على أحسن ما كانت، حتى يدخل الذئب فيعوي على بعض سواري المسجد أو على المنبر، قالوا: فلمن تكون ثمارها؟ قال: للعوافي الطير والسباع) أخرجه معن بن عيسى في الموطأ عن مالك[١٩٢]، ورواه جماعة من الثقات خارج الموطأ، ويشهد له أيضا ما روى أحمد والحاكم وغيرهما[١٩٣]، من حديث محجن بن الأدرع الأسلمي ﷺ قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم لقيني وأنا

خارج من بعض طرق المدينة فأخذ بيدي، حتى أتينا أحدا ثم أقبل على المدينة، فقال: (ويل أمها قرية يوم يدعها أهلها كأينع ما يكون، قلت: يا رسول الله من يأكل ثمرها؟ قال :عافية الطير والسباع)، وروى عمر بن شبة بإسناد صحيح عن عوف بن مالك ﷺ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، ثم نظر إلينا، فقال: (أما والله ليدعنها أهلها مذللة أربعين عاما للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع)[١٩٤]، قلت: وهذا لم يقع قطعا، وقال المهلب: **في هذا الحديث أن المدينة تسكن إلى يوم القيامة وإن خلت في بعض الأوقات**، لقصد الراعيين بغنمهما إلى المدينة .

قوله: (وآخر من يحشر راعيان من مزينة) هذا يحتمل أن يكون حديثا آخر مستقلا لا تعلق له بالذي قبله، ويحتمل أن يكون من تتمة الحديث الذي قبله، وعلى هذين الاحتمالين يترتب الاختلاف الذي حكيته عن القرطبي والنووي، والثاني أظهر كما قال النووي.

قوله: (ينعقان) بكسر المهملة بعدها قاف، النعيق زجر الغنم، يقال: نعق ينعق بكسر العين وفتحها نعيقا ونعاقا ونعقانا إذا صاح بالغنم، وأغرب الداودي فقال: معناه يطلب الكلأ وكأنه فسره بالمقصود من الزجر، لأنه يزجرها عن المرعى الوبيل إلى المرعى الوسيم.

قوله: (فيجدانها وحوشا) أو يجدانها ذات وحش، أو يجدان أهلها قد صاروا وحوشا، وهذا على أن الرواية بفتح الواو أي: يجدانها خالية، وفي رواية مسلم (فيجدانها وحشا) أي: خالية ليس بها أحد، والوحش من الأرض الخلاء أو كثرة الوحش لما خلت من سكانها، قال النووي: الصحيح أن معناه يجدانها ذات وحوش، قال: وقد يكون وحشا بمعنى وحوش، وأصل الوحش كل شيء توحش من الحيوان، وجمعه وحوش، وقد يعبر بواحده عن جمعه، وحكى عن ابن المرابط أن معناه أن غنم الراعيين المذكورين تصير وحوشا، إما بأن تنقلب ذاتها، وإما أن تتوحش وتنفر منهما، وعلى هذا فالضمير في يجدانها يعود على الغنم والظاهر خلافه، قال النووي: الصواب الأول، وقال القرطبي: القدرة صالحة لذلك انتهى.

ويؤيده أن في بقية الحديث (أنهما يخران على وجوههما إذا وصلا إلى ثنية الوداع)، وذلك قبل دخولهما المدينة بلا شك، فيدل على أنهما وجدا التوحش المذكور قبل دخول المدينة، فيقوى أن الضمير يعود على غنمهما، وكأن ذلك من علامات قيام الساعة، ويوضح هذا رواية عمر بن شبة في أخبار المدينة[١٩٥]، من طريق عطاء بن السائب،

عن رجل من أشجع، عن أبي هريرة ﷺ موقوفا قال: " آخر من يحشر رجلان رجل من مزينة، وآخر من جهينة، فيقولان: أين الناس؟ فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعالب، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس".

قوله: (وآخر من يحشر) في رواية مسلم من طريق عقيل عن الزهري (ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة)، لم يذكر في الحديث حشرهما وإنما ذكر مقدمته، لأن الحشر إنما يقع بعد الموت فذكر سبب موتهما والحشر يعقبه.

وقوله: (على هذا خرا على وجوههما)، أي سقطا ميتين ، أو المراد بقوله: (خرا على وجوههما) أي سقطا بمن أسقطهما وهو الملك، كما تقدم في رواية عمر بن شبة، وفي رواية للعقيلي: (أنهما كانا ينزلان بجبل ورقان)[١٩٦]، وله[١٩٧] من حديث حذيفة بن أسيدﷺ، (أنهما يفقدان الناس، فيقولان :ننطلق إلى بني فلان فيأتيانهم فلا يجدان أحدا، فيقولان، ننطلق إلى المدينة، فينطلقان فلا يجدان بها أحدا فينطلقان إلى البقيع فلا يريان إلا السباع والثعالب)، وهذا يوضح أحد الاحتمالات المتقدمة وقد روى ابن حبان من طريق عروة عن أبي هريرة ﷺ رفعه (آخر قرية في الإسلام خرابا المدينة)[١٩٨]، وهو يناسب كون آخر من يحشر يكون منها.

تنبيه: أنكرا بن عمر ﷺ على أبي هريرة ﷺ، تعبيره في هذا الحديث بقوله: (خير ما كانت)، وقال :إن الصواب (أعمر ما كانت)، أخرج ذلك عمر بن شبة في أخبار المدينة، من طريق مساحق بن عمرو ،أنه كان جالسا عندا بن عمر ﷺ، فجاء أبو هريرة ﷺ فقال له: لم ترد علي حديثي؟ فوالله لقد كنت أنا وأنت في بيت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يخرج منها أهلها خير ما كانت)، فقال ابن عمرﷺ: أجل، ولكن لم يقل: خير ما كانت، إنما قال: أعمر ما كانت، ولو قال: خير ما كانت لكان ذلك وهو حي وأصحابه، فقال أبو هريرة ﷺ : صدقت والذي نفسي بيده[١٩٩]. وروى مسلم من حديث حذيفة ﷺ أنه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يخرج أهل المدينة من المدينة؟[٢٠٠]، ولعمر بن شبة[٢٠١] من حديث أبي هريرة ﷺ، قيل :يا أبا هريرة من يخرجهم؟، قال: أمراء السوء[٢٠٢].والله أعلم.

المبحث الثاني عشر:

من خصائص الحجاز، إهلاك من أرادها بسوء .

وجاءت الأحاديث ناصة على أن من أراد مكة أو المدينة بسوء، فإن الله سيهلكه.

فأما في مكة: عن أم المؤمنين عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»[٢٠٣].

قال الحافظ ابن حجر: المراد (بالأسواق) أهلها، أي: يخسف بالمقاتلة منهم ومن ليس من أهل القتال، كالباعة وفي رواية مسلم [٢٠٤](فقلنا: إن الطريق يجمع الناس؟ قال: نعم فيهم المستبصر)، أي المستبين لذلك القاصد للمقاتلة، (والمجبور) بالجيم والموحدة أي: المكره، (وابن السبيل) أي سالك الطريق معهم، (وليس منهم) والغرض كله أنها استشكلت وقوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبة، فوقع الجواب بأن العذاب يقع عاما لحضور آجالهم، ويبعثون بعد ذلك على نياتهم وفي رواية مسلم: (يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى)، وفي حديث أم سلمة عند مسلم: فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارها؟ قال: (يخسف به ولكن يبعث يوم القيامة على نيته)[٢٠٥]، أي :يخسف بالجميع لشؤم الأشرار، ثم يعامل كل أحد عند الحساب بحسب قصده، قال المهلب: في هذا الحديث، أن من كثر سواد قوم في المعصية مختارا أن العقوبة تلزمه معه..... وفي هذا الحديث: أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة ، هل هي إعانة لهم على ظلمهم؟ أو هي من ضرورة البشرية؟ ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته، وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث.

وقال ابن التين: يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم، فيخسف بهم، وتعقب بأن في بعض طرقه عند مسلم: (إن ناسا من أمتي)، والذين يهدمونها من كفار الحبشة، وأيضا فمقتضى كلامه أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا، وظاهر الخبر أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها[٢٠٦].

وأما في المدينة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَهَا بِسُوءٍ – يُرِيدُ الْمَدِينَةَ – أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»[٢٠٧].

وعن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»[٢٠٨].

قال الهرري: (أذابه الله) تعالى أي أهلكه الله تعالى ويعدمه.

(كما يذوب) أي كما ينماع وينعدم، (الملح في الماء) أي : يعدمه إعدامًا كانعدام الملح في الماء، أي: أهلكه الله بكليته، عبر عنه بالذوب تهويلًا في إيلامه، لأن ألم الهلاك بالتدريج أشد مما يكون بغتة. اهـ من المبارق.

قال الطيبي: (قوله كما يذوب الملح) فيه معنى قوله تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِهِ} شبه أهل المدينة لوفور علمهم وصفاء قريحتهم بالماء، وشبه من يريد الكيد بهم بالملح لأن نكاية كيدهم لما كانت راجعة إليهم شبهوا بالملح الذي يريد إفساد الماء فيذهب بنفسه. فإن (قلت): يلزم على هذا كدورة بسبب فنائهم.....

وفي شرح النووي عن القاضي: قال قوم: وهو مختص بمدة حياته صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: هو عام، وهذا أصح ألا ترى أن مسلم بن عقبة لما حارب المدينة هلك في منصرفه عنها، ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على إثر ذلك وغيرهما ممن صنع صنعهما اهـ[٢٠٩]. والله أعلم.

خاتمة البحث

وبعد أن طاف بنا القلم في كنوز السنة المشرفة ودواوينها ،وسطر أبرز أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحجاز بجميع إطلاقاته ،ودون وأفصح عن تلك المكانة العظيمة والجلالة المهيبة للحجاز منذ بدأ التاريخ البشري وإلى أن تقوم الساعة ، يحسن أن نبين أبرز النتائج لهذ البحث وهي كالآتي :

١- من خلال مبحث الخصوصية العقدية والشرعية للحجاز تجلت العناية الإلهية العظيمة بهذه البقاع المباركة من الأرض من توسطها بمركز الكرة الأرضية ،إلى اشتمالها لبعض الهبات من الجنة ، ،واحتضانها أول بيت لله قبل التناسل البشري ، والتحذير من سفك الدم بها أو عضد شجرها وجعلها موئلا لحط الذنوب والخطايا ، وانطلاق الدين القويم منها وعودته إليها ،والشفاء بمائها وتربتها وتمرها ،وظهور المعجزات الكونية ودلائل النبوة بها وخروج علامات للساعة صغرى وكبرى على صعيدها ، وتحريمها على الدجال ،وإكرام أهلها أن يكونوا أول من يحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم ،وسوى ذلك مما لم يظهره الله لنا من جليل اصطفائه لهذه العرصات وحكمته سبحانه في ذلك .

٢- نسبة الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان والحكمة لليمن فعامة الروايات أن المقصود أهل الحجاز ،وتفصيل ذلك في المبحث الثاني .

٣- الأمر بأن يخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب فالأرجح من فهم الصحابة رضي الله عنهم ومنهم عمر ومن أقوال العلماء ومنهم الشافعي أن المراد به أرض الحجاز .

٤- حكمة المولى سبحانه في ابتداء العلاقة بين السماء والأرض من الأزل في الحجاز ،وبداية الدين ومعرفته وانتشاره من الحجاز ثم عودته إليه .وفي ثنايا ذلك من جزيل العطايا والاصطفاء ما يدعو للتأمل في قصة الكون والرسالة الخاتمة .

٥- هاجر صلى الله عليه وسلم من أطهر بقاع الدنيا متخفيا ليسكن المدينة التي تأكل القرى ، كناية عن خروج البعوث والفتوح منها إلى كل بلاد الله عن الغلبة على أهلها وفتحها .

٦- اختصاص الحجاز بعدد علامات الساعة وأولها بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته ، وخروج نار الحجاز التي أضاء ت أعناق الابل ببصرى الشام ، ومن الكبرى خروج المهدي ،وخروج الدابة .

٧- من كرامة الله للحجاز أن حرم على الدجال دخول مكة والمدينة فيهما .

٨- آخر بلاد الله خرابا في الاسلام المدينة ويشهد لذلك حديث الراعيان من مزينة.

٩- حماية الله للحجاز ممن يريدبها سوءا ومن ذلك الخسف بالجيش الذي يريد غزو الكعبة .

١٠- من خلال عرض الأحاديث عن الحجاز (مكة والمدينة) ومكانتهما ،اتضح أن الغالبية العظمى منها من صحيحي البخاري ومسلم وما انفرد به أحدهما ، ومجموع ما اتفقا على اخراجه (٢٥) حديثا، وانفرد البخاري ب (ستة) أحاديث ، كماانفرد مسلم ب (ستة عشر حديثا) ومجموع أحاديثهما عن الحجاز (٤٧) حديثا، كما روى أحمد في مسنده ستة أحاديث ، ومالك حديث واحد في موطئه ، وأبو داود حديث واحد ، والترمذي ستة أحاديث والنسائي حديثا واحدا ،وابن ماجة أربعة أحاديث ،و ابن خزيمة حديث واحد ، والبيهقي حديثان ،والطبراني حديث واحد ،وكذا الطيالسي حديث واحدوالحاكم حديث واحد ومجموع أحاديثهم لا يتجاوز (٢٩) حديثا سوى المصنفات الأخرى غير الحديثية كأخبار مكة للفاكهي .وتلك الأحاديث تتراوح مابين الصحيح والحسن والضعيف وبعضها ضعيف جدا ،ولا يوجد فيها ولله الحمد حديث موضوع ،ما خلا حديث الحاكم في المستدرك الذي وصف البعض اسناده بالمظلم ، ومن ذلك ندرك أن روايات البخاري ومسلم مثلت الضعفين من الأحاديث التي تضمنها البحث وناهيك بهما قوة وثقة ، والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمدوعلى آله وصحبه وسلم

الهوامش

(١) سورة البقرة آية (٣٠).

(٢) سورة البقرة آية (٣٦).

(٣) سورة الإنسان آية (٢).

(٤) قال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أُهْبِطَ، وقع بالهندِ، وحَوَّاء بِجُدَّة، فجعل آدم يطلب حواءَ، وهي تطلبه، فاجتمعا بعرفات يومَ عَرَفَة، وتَعَارَفا، فسمي اليوم عَرَفَة، والموضع عرفات .أنظر تفسير البغوي ١/ ٢٢٨، وزاد المسير لابن الجوزي/ ١٧٤.

وقال ابن زيد: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، فجاء في طلبها حتى أتى " جمعاً " فازدلفت إليه حواء، فلذلك سميت " المزدلفة "، وتعارفا بعرفات، فلذلك سميت " عرفات "، واجتمعا بِجَمْع، فلذلك سميت " جمعاً ".وأهبطت الحية بأصبهان، وإبليس بميسان. وقيل بساحل بحر الأُبُلَّة. الهداية الى بلوغ النهاية (٤/ ٢٣١٧) والله أعلم.

روى الطبري في "تاريخ الأمم والملوك" ١/ ١٢١ عن ابن عباس نحوه.

وقال ابن كثير: وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهما، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات؛ والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى أو رسوله. تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٩٩).

(٥) -أنظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٢١

(٦)- سورة القصص آية (٦٨).

(٧)- في صحيح البخاري (كتاب الحج، باب هدم الكعبة) (٢/ ١٤٩) رقم (١٥٥٩) عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كأني أنظر إليه أسود أفحج، ينقضها حجراً حجراً، يعني الكعبة ".

وفي صحيح مسلم كتاب الفتن: (٤/ ٢٢٣٢) ، حديث رقم: (٢٩٠٩) عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة " . وإنما سمي ذو السويقتين لصغر ساقيه، فالسويقتان تصغير ساقي الإنسان لرقتهما.

(٨)- سورة إبراهيم آية (٣٧).

(٩) سورة الحج آية (٢٥- ٢٧).

(١٠) سورة البقرة آية (١٢٥- ١٢٦).

٣- الاعجاز العلمى فى مكـــــــة المكرمـــــــة والطـواف يقول الدكتور زغلول النجار : من كرامات مكة المكرمة ان الله قد اختص مكانها بأن يكون أول مكان يعبد فيه الله على الأرض قال تعالى :(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) سورة الحج (٢٧) ..... يأتوك من كل فج عميق ولم يقل سبحانه من كل فج بعيد !! لو كانت الارض مستوية لقال تعالى يأتين من كل فج بعيد لأن كلمة بعد تفيد المسافة بين مكانين على مستوى واحد . والارض كروية فالقادمون إلى مكة يأتون من بقاع عميقة بالنسبة اليها كما تقتضي الهندسة الفراغية للأشكال الكروية .

تشير الدراسات الحديثه إلى مركزية مكّة المكرّمه للأرض اليابسة على سطح الكره الأرضيه فتلك البقعة المباركة التى تقع على خط ٢١° عرضاً شمالاً وعلى نحو ٤٠° طول وهى بالفعل مركز الأرض المكانى وهى مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات أفريقيا وآسيا وأوروبا نصف قطرها ٨ الآف كم. وتدل الدراسات العلميه أنّ مكّة مركز الدائره (نصف قطرها ١٣ الف كم) تمر باطراف

القارات الجديده الأمريكيه واستراليا.

كما ثبتت الدراسات ان مكة مركز اليابسه كلها قبل ان تتزحزح القارات وتنفصل بعضها عن بعض فى العصور الجيولوجيه السحيقه ولذلك قال تعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ " (آل عمران: ٩٦).فكلمة (للناس) فى الآية تعنى للناس عامة من لدن آدم إلى قيام الناس لرب العالمين كما اثبتتها نظرية زحزحة القارات وهى النظريه التى طرحها العالم الألمانى (الفريد واجنر) واكدت الدراسات الجيولوجيه صحة ذلك ولذلك قال تعالى " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا " (النّازعات: ٣٠) فلفظة الدحو تعنى تسوية الشيء ونثره وهذا التعبير يعنى نفس لفظة (drift) التى تستخدم فى نظرية تزحزح القارات والتى تؤكد ان مكة مركز الأرض قبل تزحزح القارات من قبل نزول آدم بعث الله ملائكة فقال لهم ابنو لى بيتا فى الأرض مثل البيت المعمور يطوف به المذنبون من ذرية آدم فأغفر لهم كما غفرت لكم. ومرت السنين وتساقطت الأمطار والسيول على البيت الحرام وغطّت الرمال اصوله وجدرانه ولكن ظلت قواعد البيت تضرب فى اعماق الأرض فأوحى الله لإبراهيم وأعلمه مكان البيت " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ " (الحج: ٢٦) كما اوحى الله اليه ان يعيد رفع البناء " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (البقرة: ١٢٧) وبذلك يصبح المكانين مكة والبيت المعمور هما اقوى رابطه بين الملكوتين ملكوت السماوات والأرض.

(١٢) في صحيح مسلم، خبر الصحابي تميم الداري ﷺ مع الدجال، حيث سأله عن أمور عده ،ثم قال : .....
: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صحيح مسلم (٢٩٤٢).

(١٣) كما في قصة اسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، ومروره على الرهبان الذين بشروه بخروج آخر الأنبياء، ومكان خروجه ومهاجره وأوصافه وخلاله ﷺ.

(١٤) أخرجه الترمذي (٨٧٧)، وقال: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح، وصححه ابن خزيمة (٢٧٣٣).

(١٥) أخرجه الترمذي (٨٧٨)، وقال: هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفا قوله، وفيه عن أنس أيضا وهو حديث غريب، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال: هذا الخبر لم يسنده أحد أعلمه من حديث الزهري غير أيوب بن سويد إن كان حفظ عنه، وقد رواه عن مسافع بن شيبة مرفوعا غير الزهري رواه رجاء أبو يحيى.

قال الشيخ الألباني: إسناده حسن لغيره، فإن أيوب بن سويد سيء الحفظ، وقد تابعه شبيب بن سعيد الحبطي عند البيهقي، وهو ثقة عن رواية ابنه أحمد عنه، وهذا منه، فإسناده صحيح. صحيح ابن خزيمة (٤/ ٢١٩).

(١٦) أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم ٥٠٠ - (١٣٩٠).

(١٧) المسند (١٦٤٥٨).

(١٨) صحيح البخاري (١٨٣٣)

قال تعالى: {... وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا ...} (آل عمران: ٩٧). وقال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ...} (البقرة: ١٢٥} مَثَابَةً لِلنَّاسِ: أي مرجعا يثوبون إليه، ويترددون عليه لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، وَأَمْنًا: أي يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى الجمادات والأشجار، ولهذا كانوا في الجاهلية – على شركهم – يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام، زاده حرمة وتعظيما، وتشريفا وتكريما.

ويستثنى من ذلك الخمس الفواسق، كما في الصحيحين، واللفظ لمسلم، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحُدَيَّا". البخاري (٣٣١٤)، ومسلم ٦٧ – (١١٩٨) .

(١٩) صحيح البخاري (٤٣١٣).

وقوله عن مجاهد : هذا مرسل، وقد وصله في الحج والجهاد عنه، عن طاووس، عن ابن عباس.. التوشيح شرح الجامع الصحيح (٦/ ٢٦٦١)، وانظر الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٧/ ٣١١).

(٢٠) تقدم تخريجه قريبا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢١) صحيح البخاري (٢١٣٩)، صحيح مسلم ٤٥٤ – (١٣٦٠)، واللفظ له.

(٢٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٥/ ٩٠.

(٢٣) المصدر السابق ١٥/ ٩٠.

(٢٤) الاستذكار ٨/ ٢٣٣.

(٢٥) وقد تجاذب العلماء القول، في أي البلدتين أفضل؟ وليس هذا من مفردات هذا البحث، غير أن الأرجح بأدلة كثر فضل مكة على المدينة ، قال الإمام القسطلاني : ومباحث التفضيل بين الموضعين مشهورة.

وقال الأبيّ من المالكية: واختار ابن رشد وشيخنا أبو عبد الله أي ابن عرفة تفضيل مكة. واحتج ابن رشد لذلك بأن الله تعالى جعل بها قبلة الصلاة وكعبة الحج، وبأنه تعالى جعل لها مزية بتحريم الله تعالى إياها، أن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس، وأجمع أهل العلم على وجوب الجزاء على من صاد بحرمها، ولم يجمعوا على وجوبه على من صاد بالمدينة، ومن دخله كان آمنًا ولم يقل أحد بذلك في المدينة، وكان الذنب في حرم مكة أغلظ منه في حرم المدينة فكان ذلك دليلاً على فضلها عليها. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٣٣٢).

اضف إلى ما ذكره ابن رشد من مزايا مكة: اختصاصها بالقبلة، والتحريم من الله، والاجماع على وجوب الجزاء على من صاد بحرمها، وأنه يتوجه إليها الملايين للحج والعمرة والطواف بالبيت وتقبيل الحجر الأسود واستلام الركن اليماني، والصلاة خلف مقام ابراهيم ، والسعي بين الصفا والمروة.

وزد على ذلك عرفات، وجبل الرحمة، وجمع ومزدلفة، ومنى والجمرات ، كما تتوجه إليها أنظار أكثر من مليار ونصف مسلم في أرجاء وأقطار الأرض على مدى أربعة وعشرين ساعة ،حيث ثبت علميا ومن خلال بيان خطوط الطول الوهمية للكرة الأرضية وأن بين كل خط والآخر مقدار أربع دقائق، وزمن الأذان المتأني أربع دقائق كذلك ، فما إن ينتهي أذان بخط طول ويصلي أهله إلا ويبدأ أذان وصلاة في الخط الذي يليه ، فالحمد لله أن جعنا من اهل هذا الدين.

(٢٦) سيأتي تخريج الحديث، وبيان مزيد حول الحديث في المبحث الرابع.

(٢٧) سورة آل عمران آية (٩٦).

(٢٨) صحيح البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم ١ - (٥٢٠).

(٢٩) (٢/ ٤٥)، وقال: تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ لَهِيعَةَ هَكَذَا، مَرْفُوعًا.

(٣٠) سورة البقرة آية (١٢٧).

(٣١) صحيح البخاري (١١٩٠)، ومسلم ٥٠٥ - (١٣٩٤).

(٣٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٠٦)، وأحمد (١٤٦٩٤)، قال البوصيري: إسناد حديث جابر صحيح ورجاله ثقات، لأن إسماعيل بن أسد وثقه البزار والدارقطني والذهبي في الكاشف، وقال أبو حاتم: صدوق، وباقي رجال الإسناد محتج بهم في الصحيحين. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ١٣).

(٣٣) سورة التين آية (١-٣).

(٣٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٤).

(٣٥) صحيح البخاري (١٤٤)، ومسلم ٥٩ - (٢٦٤).

(٣٦) سورة البقرة آية (١٥٠).

(٣٧) سورة البقرة آية (١٤٤).

(٣٨) البخاري (١١٨٨)، ومسلم ٥١١ - (١٣٩٧).

(٣٩) فتح الباري (٣/ ٦٤).

(٤٠) أخرجه البخاري (١٨١٩)، وهذا لفظه، ومسلم ٤٣٨ - (١٣٥٠).

(٤١) سورة آل عمران آية (٩٧).

(٤٢) البخاري (٨)، ومسلم ١٩ - (١٦).

(٤٣) سورة إبراهيم آية (٣٧).

(٤٤) أما قول ابن عباس رضي الله عنهما فأخرجه ابن المنذر في تفسيره – عزاه له السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٧) –، وأما قول مجاهد وسعيد بن جبير، فأخرجه عنهما ابن جرير الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٣/ ٦٩٨).

(٤٥) سورة البقرة آية (١٢٥).

(٤٦) سورة الحج آية (٢٦).

(٤٧) أخرجه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم ١٣٣ - (١٠٥٩)، ضمن حديث طويل.

(٤٨) انفرد البخاري بتخريجه (١٥٣٤).

(٤٩) البخاري (١٨٧٠)، ومسلم ٤٦٧ - (١٣٧٠).

(٥٠) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢١٣).

(٥١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٢٩).

(٥٢) سورة الفيل آية (١ - ٥).

(٥٣) سيأتي الكلام عنه في المبحث العاشر.

(٥٤) قال الحافظ العراقي رحمه الله-: "رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وفي ذم الغضب، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الوفاء وفيه ضعف". تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٤/ ١٨٢٥ وقال الألباني: هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت ،دفاع عن الحديث النبوي، والسيرة ص ٣٢.

(٥٥) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (١٤٨٤٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٥٦) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم ٥٤ – (٢١٩٤).

(٥٧) أخرجه البخاري (٥٤٤٥)، ومسلم ١٥٤ – (٢٠٤٧)، وهذا لفظه.

(٥٨) أخرجه الترمذي (٣٦٩٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وعاصم بن عمر العمري ليس بالحافظ عند أهل الحديث. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي بقوله: عبد الله بن نافع ضعيف. وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٢٧ – ١٥٢٨)، وقال: هَذَا حديث لا يصح ومدار الطريقين على عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ يَحْيَى: لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَقَالَ علي: يروي أحاديث منكرة، وقال النسائي: متروك، ثُمَّ مدارهما أيضًا على عاصم بْن عُمَر، ضعفه أَحْمَد ويحيى وقال ابن حبان: لا يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِهِ

(٥٩) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٨٨٣)، والصغير (٨٢٧)، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه موسى بن عبد الرحمن المسروقي، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وفيه عبد الله بن المؤمل وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وإسناده حسن، مجمع الزوائد (٢/ ٣١٩)، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢١٨)، قال الشوكاني: وَأَنَا أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَحْكُمُ بِعَدَمِ صِحَّةِ هَذَا الْمَتْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِعَدَمِ حُسْنِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ الْبُرْهَانُ بِإِسْنَادٍ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ، وَأَحَادِيثُ الْوَضَّاعِينَ وَإِنْ بَلَغَتْ فِي الْكَثْرَةِ كُلَّ مَبْلَغٍ لا يشهد ببعضها لبعض، وَلا تَسْتَحِقُّ إِطْلاقَ اسْمِ الْحَسَنِ عليها. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص(١١٥).

(٦٠) قال الحافظ ابن حجر: أما من حيث الرواية فليست على حد سواء، فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا، يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك. فتح الباري (٦/ ٥٩٢).

وقد أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبدالله (٣٥٨٥) ٤/ ١٩٦ وسهل بن سعد، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وأخرجه غيره من حديث أبي بن كعب، وابن عباس، وأم سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، رضي الله عنهم أجمعين.

(٦١) انفرد مسلم بإخراجه ٢ – (٢٢٧٧).

(٦٢) أخرجه مسلم ٩٢ – (٥٣).

(٦٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٤/ ٢٤٩).

(٦٤) المستخرج على صحيح مسلم (١/ ٦١).

(٦٥) صحيح ابن حبان – بترتيب ابن بلبان – (١٦/ ٢٨٥).

(٦٦) قال السيوطي: (الفدادين) جمع فداد، وهذا قول أهل الحديث والأصمعي وجمهور أهل اللغة، وهو من: الفديد، وهو الصوت الشديد، فهم الذين تعلوا أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك. شرح السيوطي على صحيح مسلم (١/ ٦٨).

(٦٧) صحيح البخاري (٣٣٠٢) و(٤٣٨٧) و(٥٣٠٣)، ومسلم (٥١).

(٦٨) معجم المعالم الجغرافية ص (٣٣٩).

(٦٩) الإيمان (١/ ٥٢٣).

(٧٠) معجم البلدان (٢/ ٦٣).

(٧١) غريب الحديث (٢/ ١٦١ – ١٦٤).

(٧٢) فتح الباري (٨/ ٩٩).

(٧٣) المسند (٢/ ٢٨٧) رقم (٢٢٠٠)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٤٤) رقم (٣٩٨٦).

قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، إلا أن ابن إسحاق مدلس. مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٤)، قلت: قد تابعه سفيان بن عيينة متابعة كاملة كما عند إسحاق في مسنده

(٧٤) سورة التوبة آية (٢٨).

(٧٥) البخاري (٣٠٥٣) وهذا لفظه، ومسلم ٢٠- (١٦٣٧).

(٧٦) أخرجه مسلم ٦٣ (١٧٦٧).

(٧٧) هو عند الترمذي (١٦٠٦).

(٧٨) أخرجه أحمد (١٦٩١) واللفظ له، وأخرجه أبو داود الطيالسي (٢٢٦)، والحميدي (٨٥)، في مسانيدهم. وصححه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٣/ ٣٢٠)، و الصنعاني كما في عون القدير من فتاوى ورسائل ابن الأمير (١/ ٨٤٩) ، وصححه أيضا محققوا المسند (٣/ ٢٢١).

(٧٩) في المصنف (٩٩٨٤).

(٨٠) صحيح البخاري (١٣٣٨)، ومسلم ٦ (١٥٥١).

(٨١) الأم (٤/ ١٨٧ - ١٨٨).

(٨٢) معرفة السنن والآثار (١٣/ ٣٨٦).

(٨٣) السنن الكبرى (٩/ ٣٥٢).

(٨٤) البدر التمام من شرح بلوغ المرام (٩/ ٢٧٦- ٢٧٧).

(٨٥) وقد نشرها محمد بن حسين الزبيدي في مجلة المورد العراقية (١٣٩٤) ه.

(٨٦) المغني (٩/ ٣٥٧).

(٨٧) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٦).

(٨٨) فتح الباري (٦/ ١٧١).

(٨٩) الفتح الرباني من فتاوى ورسائل الشوكاني(١٠/ ٥٠١٥).

(٩٠) الفتح الرباني (١٠/ ٥٠١٦).

(٩١) عون القدير من فتاوى ورسائل ابن الأمير (١/ ٨٥٠- ٨٥٣).

(٩٢) في صحيحه (١٤٦).

(٩٣) أخرجه أحمد (١٦٠٤)

(٩٤) مسند الإمام أحمد طبعة الرسالة (٣/ ١٥٧).

(٩٥) (١٦٦٩٠)

(٩٦) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٧٧).

(٩٧) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠)، - وهذا لفظه - وقال: هذا حديث حسن ، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٠٥١).

(٩٨) المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٧٦).

(٩٩) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (٢٣٣).

(١٠٠) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٦٨).

(١٠١) في صحيحه ٤٨٧- (١٣٨١).

(١٠٢) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم (٣/ ٤٩٦).

(١٠٣) المرجع السابق (٣/ ٤٩٧).

(١٠٤) سيأتي ذكر حديث الأعرابي.

(١٠٥) فتح الباري (٤/ ٨٨).

(١٠٦) أخرجه البخاري (١٨٧١) ومسلم ٤٨٨ – (١٣٨٢).

(١٠٧) أخرجه أحمد في المسند(١٨٥١٩)، قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٠). كذا قال رحمه الله رغم أن في سندهما يزيد بن أبي زياد متفق على ضعفه، ومنهم من قال: متروك. انظر تهذيب الكمال (٣٢/ ١٣٤). وعليه فسنده ضعيف.

(١٠٨) تاريخ المدينة لعمر بن شبة (١/ ١٦٥)، وسنده ضعيف، تفرد به يحي بن بسطام وهو وإن قال فيه أبو حاتم : صدوق، إلا أن أكثر النقاد على جرحه، ومنهم من جرحه جحا مفسرا، قال أبو داود: تركوا حديثه، قال له معتمر بن سليمان: أنت قدري؟ قال نعم، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه لأنه داعية إلى القدر، ولأن في روايته مناكير، وذكره العقيلي في الضعفاء. لسان الميزان (٦/ ٢٤٣).

(١٠٩) – معجم مااستعجم ٤/ ١٣٨٩ ، فتح الباري (٤/ ٨٧– ٨٨).

(١١٠) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٣/ ٤٩٨).

(١١١) البخاري في مواضع منها (٧٢١١)، ومسلم ٤٨٩ – (١٣٨٣).

(١١٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/ ١٥٥– ١٥٦).

(١١٣) أخرجه الترمذي (٣٩١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٣١١٢)، وصححه ابن حبان (٣٧٣٣)، وأحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد (٧/ ٢٢٢)، والألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٠١٥).

(١١٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ١٨٨٤).

(١١٥) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (١٠/ ٢٨٦).

(١١٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٤٢٧١)، وصححه ابن حبان (٣٧٤٢)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٩٢٨)

(١١٧) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٥)، والشاشي في المسند (١٥٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٤٠)، وذكره الهيثمي في موضعين في مجمع الزوائد فقال في الأول: وإسناده حسن. (٣/ ٣٠٠)، وقال في الآخر: رجاله ثقات (٦/ ١١٩) وحسنه أيضا المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٥).

(١١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ٩٣).

(١١٩) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٨٥)، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات، مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٠)، وقال المنذري: بإسناد جيد ورجاله ثقات، الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٧).

(١٢٠) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٨٩).

(١٢١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٣٨).

(١٢٢) وروى البخاري (١٨٧١) ، ومسلم (١٣٨٢).

(١٢٣) شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٤).

(١٢٤) فتح الباري (٤/ ٨٧).

(١٢٥) وروى البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧).

(١٢٦) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٧٧).

(١٢٧) فتح الباري (٤/ ٩٣).

(١٢٨) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم ٤٢ - (٢٩٠٢).

(١٢٩) التذكرة في احوال الموتى وأمور الآخرة ص (٣٤٩).

(١٣٠) بينها وبين المدينة النبوية قرابة أربعمائة وخمسين كيلو متر.

(١٣١) فتح الباري (١٣/ ٧٩).

(١٣٢) المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٣٩٦).

(١٣٣) معجم البلدان (١/ ٤٤١).

(١٣٤) شرح صحيح مسلم (٣/ ٦٩).

(١٣٥) الواقعة شرقي المدينة أو في الجنوب الشرقي منها.

(١٣٦) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣٥٧).

(١٣٧) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ل محمد الأمين الهرري (٢٦/ ١٤٥).وانظر القيامة الصغرى من ١٤٣(-١٥٣)للدكتور عمر سليمان الأشقر فقد أفاض وأجاد في عرض هذه العلامة في معرض بيانه لعلامات الساعة الصغرى وتقسيمه الرائع لها .

(١٣٨) أخرجه مسلم ٣٩ - (٢٩٠١).

(١٣٩) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٢٨).

(١٤٠) فتح الباري (١٣/ ٧٩).

(١٤١) هو الحديث الذي تقدم قريبا.

(١٤٢) المسند (٤٥٣٦)، وصححه ابن حبان (٧٣٠٥)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (١٠/ ٦١)، وصححه محققوا مسند أحمد: على شرط الشيخين. مسند أحمد (٨/ ١٣٥).

(١٤٣) الكوكب الوهاج للهرري (٢٦/ ١٤١).

(١٤٤) أخرجه أبو داود (٤٢٨٦) وهذا لفظه وأحمد (٢٦٦٨٩)، وصححه ابن حبان (١٥/ ١٥٨)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (٧/ ٣١٥)، وقال شيخ الإسلام ابن القيم: والحديث حسن ومثله مما يجوز أن يقال فيه: صحيح. المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص (١٤٥).

(١٤٥) ولفظه: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة، وحتى يملأ الأرض جورا وظلما، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجلا من عترتي، فيملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئا إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئا إلا صبه الله عليهم مدرارا، يعيش فيها سبع سنين أو ثمان أو تسع، تتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه . فتعقبه الذهبي قائلا: سنده مظلم. المستدرك (٤/ ٥١٢).

(١٤٦) بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، الأرض التي تخرج منها من ذي الحليفة جنوبا، فيها اليوم مبنى التلفاز، وكلية متوسطة. أطلس

الحديث النبوي الدكتور شوقي أبو خليل ص (٨٤).

(١٤٧) شرح سنن أبي داود (١٧/ ٧١- ٧٤).

(١٤٨) المستدرك على الصحيحين (٤/ ٤٧٨)، وليس في المطبوع منه تصحيح الحاكم للحديث.

(١٤٩) عون المعبود في شرح سنن أبي داود (١١/ ٢٥٣- ٢٥٥).

(١٥٠) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٢٢٨).

(١٥١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٠٧٣)، وسنده ضعيف فيه رجل مبهم.

(١٥٢) المرجع السابق (٩٩٩).

(١٥٣) المرجع السابق (١٠٧٢)، وفي السند من لم أعرفه.

(١٥٤) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر ص(٤٣- ٤٥).

(١٥٥) يعني الشيخ عبدالمحسن العباد في شرحه لسنن أبي داود.

(١٥٦) من تعليق سماحته على درس سنن أبي داود للشيخ عبدالمحسن العباد (٨/ ٤٨٢)، بترقيم الشاملة.

(١٥٧) سورة النمل آية (٨٢).

(١٥٨) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢١٠).

(١٥٩) أخرجه مسلم ٣٩ - (٢٩٠١).

(١٦٠) المصدر السابق ٢٤٩ - (١٥٨).

(١٦١) المرجع السابق ١٢٨ - (٢٩٤٧).

(١٦٢) المرجع السابق ١١٨ - (٢٩٤١).

(١٦٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤٤٨٧).

(١٦٤) مستدرك الحاكم مع تلخيص الذهبي (٤/ ٥٣٠).

(١٦٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ٧).

(١٦٦) البداية والنهاية (١٩/ ٢٤٩).

(١٦٧) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٨/ ٣٥٥).

(١٦٨) قوله : (فَإِذا فتر فِي شبر)، فِي الْقَامُوس: الفتر بِالْكَسْرِ مَا بَين طرف الْإِبْهَام وطرف المشيرة، أَي السبابَة، أَي أَشَارَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الى مَوضِع فَإِذا هُوَ بِهَذَا الْمِقْدَار، أَي كالفتر فِي الشبر. إِنْجَاح الحاجة في شرح سنن ابن ماجه لمحمد عبدالغني المجددي ص (٢٩٥).

(١٦٩) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٨).

(١٧٠) مصباح الزجاجة بزوائد ابن ماجه (٤/ ١٩٩).

(١٧١) تخريج سنن ابن ماجه (٥/ ١٨٦).

(١٧٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (١٠١).

(١٧٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٨٤).

(١٧٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٦١)، ثم قال : لا يحفظ إلا عن رباح هذا، ورباح هو ابن عبيد قال أحمد: منكر الحديث، وقال البخاري: لم يتابع على حديثه.

(١٧٥) الضعفاء الكبير (٢/ ١٠).

(١٧٦) عبدالرحمن الوكيل في تحقيق الروض الأنف، للسهيلي (٢/ ١٧).

(١٧٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(١٧٨) تحقيق المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٨/ ٣٥٦).

(١٧٩) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢٣٤٧).

(١٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦٦٠١).

(١٨١) من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد ﷺ، وقد تقدم تخريجه والكلام عليه.

(١٨٢) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٤٥٠).

(١٨٣) من شرح الشيخ صالح آل الشيخ على العقيدة الطحاوية ص (٦٩٤)، وما ذكره هو القدر الذي يمكن إثباته في شأن الدابة.

(١٨٤) تحقيقه لمسند أحمد (١٥/ ٨٢).

(١٨٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٦١٠).

(١٨٦) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم ١٢٣ - (٢٩٤٣)، وهذا لفظه.

(١٨٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ٩٦).

(١٨٨) أخرجه مطولا مسلم ١١٩ - (٢٩٤٢)، وأحمد (٢٧٣٥٠)، وغيرهم.

(١٨٩) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف. ضعيف ابن ماجه .

(١٩٠) أخرجه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم ٤٩٨ - (١٣٨٩)، وأحمد في المسند (٧١٩٣)، وهذا لفظه.

(١٩١) أخرجه الترمذي (٣٩١٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث جنادة عن هشام بن عروة، وأخرجه ابن حبان في الصحيح (٦٧٧٦)، وقال الترمذي في العلل الكبير: سألت محمدا – يعني البخاري –عن هذا الحديث فلم يعرفه ، وجعل يتعجب من هذا الحديث ، وقال: كنت أرى أن جنادة بن سلم مقارب الحديث. ص (٣٧٦). وقد ضعفه السيوطي، وتبعه المناوي، كما في فيض القدير بشرح أحاديث الجامع الصغير (١/ ٤١)، وكذا الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير ص(٣).

(١٩٢) هو في الموطأ من رواية أبي مصعب الزهري (١٨٥٢)، ويحي بن يحي (٨)، وقد صححه ابن حبان (٦٧٧٣)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. المستدرك (٤/ ٤٧٢)، وأقره الذهبي، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٢٩٩).

(١٩٣) في المسند (٢٠٣٤٧)، ومواطن أخر، والحاكم (٨٣١٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٦٠/ ٣٤١).

(١٩٤) تاريخ المدينة (١/ ٢٧٦).

(١٩٥) تاريخ المدينة (١/ ٢٧٨)، وسنده ضعيف، لجهالة الرجل من أشجع.

(١٩٦) الضعفاء الكبير (٤/ ١٦٣)، وقد أورده في ترجمة موسى بن مطير وقال: لا يعرف إلا به وليس له أصل ، ولا حدث به، إلا موسى بن مطير.

(١٩٧) المتبادر إلى الذهن أنه يعني ب(له) أي العقيلي فهو أقرب مذكور، وليس كذلك فالحديث في تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٢٨٢)، وفيه ضعف، لأنه من رواية المسعودي عبدالرحمن بن عبدالله، وهو قد اختلط، والراوي عنه أبو داود الطيالسي، وهو ممن روى عنه بعد الاختلاط، انظر الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، لابن الكيال ص (٢٨٨).

(١٩٨) تقدم تخريجه قريبا.

(١٩٩) تاريخ المدينة (١/ ٢٧٧)، وسنده ضعيف فيه أبو الوليد عمرو بن خراش، وهو مجهول.

(٢٠٠) كذا في الفتح، والذي في صحيح مسلم: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ؟ . ٢٤ – (٢٨٩١).

(٢٠١) تاريخ المدينة (١/ ٢٧٧)، موقوفا على أبي هريرة ﷺ، وفي السند أبو جعفر المؤذن وهو مجهول، انظر تحرير تقريب التهذيب (٤/ ١٧٠).

(٢٠٢) فتح الباري (٤/ ٩٠– ٩١).

(٢٠٣) أخرجه البخاري (٢١١٨)، وهذا لفظه، ومسلم ٧ – (٢٨٨٣).

(٢٠٤) تقدم في العزو إليه.

(٢٠٥) مسلم ٤ – (٢٨٨٢)، ولفظه عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ» وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ.

(٢٠٦) فتح الباري (٤/ ٣٤٠– ٣٤١).

(٢٠٧) صحيح مسلم ٤٩٣ – (١٣٨٦).

(٢٠٨) المرجع السابق ٤٩٤ – (١٣٨٧).

(٢٠٩) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/ ١٥٤– ١٥٥).

فهارس البحث

أولا : فهرس المصادر والمراجع .

١. الأحاديث المختارة، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ١٣ جزء.

٢. الاحتجَاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري،

٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ ه ، عددالأجزاء: ١٨ .

٤. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي،

٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني ، شهاب الدين.

٦. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي

٧. أطلس الحديث النبوي، شوقي أبو خليل،دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٢٣هـ.

٨. الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨

٩. الإيمان، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن مَنْدَه العبدي، علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢ .

١٠. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: د عبد الله التركي.

١١.البدرُ التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي، المحقق: علي بن عبد الله الزبن ، نشر: دار هجر، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١٠.

١٢. البعث والنشور، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٣. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ١١.

١٤. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨ .

١٥. تاريخ المدينة، لعمر بن شبة زيد بن عبيدة النميري، أبو زيد، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، عام النشر: ١٣٩٩ هـ.

١٦. تحرير تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تأليف: بشار عواد، شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء:

١٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ١٠ .

١٨. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ،بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ عدد الأجزاء:٤ .

١٩. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العِراقي، ابن السبكى، الزبيدي، استِخرَاج: أبي عبد اللهَّ مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، الناشر: دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٧ .

٢٠. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: الداني بن منير، نشر: المكتبة العصرية ،صيدا – بيروت، عام ١٤٣٥هـ.

٢١.الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، المنذري،

٢٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي سلامة.

٢٣.تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم،المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

٢٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين المزي،

٢٥.التوشيح شرح الجامع الصحيح، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: رضوان جامع

٢٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق:
عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ عدد الأجزاء:٢٦.
٢٨. الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٦ .
٢٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،المحقق: محمد زهيرالناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١ ١٤٢٢ عدد الأجزاء: ٩ .
٣٠. حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،
٣١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت،
٣٢. دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ١
٣٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي،
٣٤. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حققه: أبو اسحق الحويني،الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع – الخبر، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء:٦ .
٣٥. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ٧.
٣٦. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني.

٣٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن نوح بن نجاتي الألباني، دار النشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م،عدد الأجزاء: ١٤ .

٣٩ سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون. الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٥ .

٤٠. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، النسائي، حققه: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١٠ .

٤١. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا،

٤٢. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٦ .

٤٣. شرح سنن أبي داود، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان الشافعي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم،طبعة ١٤٣٧ هـ - ٢٠ جزء.

٤٤. شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن العباد البدر، مصدر الكتاب: دروس صوتية

٤٥. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، حققه: عبد العلي حامد.

٤٦. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٤٧. الصحيح ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، عدد الأجزاء: ٤ .

٤٨. صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٩. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: ٢ .

٥٠. الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي الناشر: دارالمكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٤ .

٥١. عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي، حققه: مهيب بن صالح البوريني، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

٥٢. العلل الكبير، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، أبو عيسى، رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي،

٥٣. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م عدد الأجزاء: ٢ .

٥٤. عون القدير من فتاوى ورسائل ابن الأمير، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي .

٥٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي، أبو عبد الرحمن العظيم آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٤ .

٥٦. غريب الحديث المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: محمد عبد المعيد

٥٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ١٣ .

٥٨. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، حققه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، عدد الأجزاء: ١٢ .

٥٩. فتح الودود في شرح سنن أبي داود، للسندي، المحقق: محمد الخولي، الناشر: مكتبة لينة دمنهور.

٦١. الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢، عدد الأجزاء: ٢ .

٦٢. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني، المحقق: عبد الرحمن المعلمي.

٦٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، عدد الأجزاء: ٦ .

٦٤. القيامة الصغرى للدكتور عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ،الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت ، الطبعة: الرابعة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .عدد الأجزاء: ١

٦٥. الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات، بركات بن أحمد الخطيب، أبو البركات زين الدين ابن الكيال.

٦٦. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني،المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ عدد الأجزاء: ١١

٦٧. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري،

٦٨. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند،

٦٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن سليمان الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي،

٧٠. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٧١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٧٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن الملا الهروي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩ .

٧٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع،

٧٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، : دار إحياء التراث العربي بيروت، عدد الأجزاء: ٥

٧٥. المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، أبو عَوانة يَعقُوب بن إسحَاق الإسفرَاييني، تنسيق وإخراج: فَرِيق مِن البَاحِثين بكليَّةِ الحَديثِ الشَّريفِ وَالدّرَاسَاتِ الإسلاميَّة بالجَامِعَة الإسلاميَّة، الناشر: الجَامِعَة الإسلاميَّة،

٧٦. المسند، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي المكي، حققه: حسين سليم أسد الدَّارَانيّ، الناشر: دار السقا، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٢ .

٧٧. المسند، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، المحقق: محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤ .

٧٨. المسند، أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج الشاشي، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠، عدد الأجزاء: ٣ .

٧٩. المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد.

٨٠. المسند، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بـ ابن راهويه، المحقق:عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٥ .

٨١. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني.

٨٢. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١ .

٨٣. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: دار العاصمة، السعودية، ط الأولى، ١٤١٩هـ، عدد الأجزاء: ١٩

٨٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - عدد الأجزاء: ٨.

٨٥. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠ .

٨٦. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٧ .

٨٧. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير،الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢

٨٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:٢٥

٨٩. معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٩٠. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ).الناشر: عالم الكتب، بيروت .الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ

٩١. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي،

٩٢.معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي،

٩٣. المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٩٤. المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، المشهورُ بالمُظْهِري، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين، الناشر: دار النوادر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٦ .

٩٥.المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العبَّاس أحمَدُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ، الأنصاريُّ القرطبيُّ.

٩٦. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط،

٩٧.المنار المنيف في الصحيح والضعيف، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٩٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢ ، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

٩٩.الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان،

١٠٠. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، رواية أبي مصعب الزهري،

١٠١. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، رواية يحي بن يحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

١٠٢.موقع الشبكة الإسلامية.

١٠٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م،عدد الأجزاء:٤ .